صاحبها ورئيس تحريرها

مدحت عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق - ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد الرابع

ايلول

١٩٦٢

السنة الخامسة

العقلية البدائية

بقلم الدكتور : خالد الصوفي

في الوقت الذي يرتاد فيه العالم المتحضر الفضاء ويستعد للوصول الى الكواكب ، لا زال هناك فئات من سكان الارض تعيش عيشة بدائية خالصة ، لم يصل اليها المد الحضاري بعد ، ولم يؤثر على عقليتها وتصرفاتها ، لموقعها الجغرافي النائي ، وبعدها عن مراكز الحضارات وعدم اهتمام الامم المتحضرة بالرفع من شأنها ومستواها٠

هذه الشعوب البدائية المتأخرة لها نمط من التفكير يختلف عن تفكيرنا وتصرفات بعيدة عن تصرفاتنا وعادات لا تمت الى عاداتنا الحالية بصلة ٠٠ بيد أننا لو رجعنا بعض الزمن الى الوراء وتعمقنا في البحث عن عقليتنا وعاداتنا وتصرفاتنا منذ زمن طويل لوجدنا بأنها لم تكن تختلف عن تلك التي يمارسها البدائيون الان ، بل لوجدنا اكثر من ذلك : أن عقليتنا الحالية وطرق تفكيرنا لا زال يشوبها رسوبات من تلك العقلية البدائية٠

ولما كان الكثير من العلماء لا زالوا يهتمون حتى في عصرنا المتقدم هذا ببحث أنماط العقلية البدائية وايجاد العوامل التي تؤثر فيها ، ولما كنت قد طالعت مؤخرا كتابا عن هذا الموضوع بعنوان « العقلية البدائية » للكاتب الفرنسي « ش ٠ بلوندل » ، ووجدت فيه الكثير من الامور الطريفة والآراء الغريبة بالنسبة لعقلية القرن العشرين ، فقد اردت ان اقدم للقارىء خلاصة عن أنماط التفكير لدى البدائيين وتحليلا موجزا لها معتمدا بالدرجة الاولى على الكتاب المذكور :

لقد اهتم البشر منذ زمن طويل بمعرفة أقصى ما يمكن من المعلومات عن البدائيين الذين كانوا يدعونهم بالمتوحشين ، وكان في ذلك الاهتمام وتلك المعرفة منفعة كبيرة للانسان المتمدن وذلك في كثير من النواحي : فان « ريبو » رفع صوته احتجاجا على ان علم النفس في عصره لم يكن يتطرق الا الى دراسة « الانسان الابيض ، الراشد ، والمتمدن فقط » ويهمل النواحي الاخرى ٠ وكذلك فان علم الاجتماع لكي يصبح وضعيا كان يحتاج الى اتباع طريقة المقارنة اي ان يقارب ما بين أخراج من طبقات « مختلفة » جدا عن بعضها ويجري بينهم المقارنة ٠ وكان ذلك يحتاج بالطبع الى معرفة الشعوب البدائية ٠ وكذلك فان الدول المستعمرة كانت تعرف حق المعرفة ان استثمار الاراضي الحارة لا يمكن الا عن طريق مساعدة اهل البلاد ، ولكن هذه المساعدة تتعلق بدورها بمعرفة عقلية تلك الشعوب وسياسة اللطف التي يجب ان تتبع معها ٠

اذن فنحن نرى اليوم ان في معرفة العقلية البدائية منفعة علمية ومنفعة اقتصادية من الدرجة الاولى ، ولذلك فان العلماء منذ اربعمائة سنة (٤٠٠) ، لم يفتأوا يفتشون وينقبون عن المصادر المختلفة التي يمكنها ان تعطينا فكرة عن تلك العقلية ٠ فان روسو في القرن الثامن عشر طرق هذا الموضوع بحماسة ووصف الرجل البدائي

« بالمتوحش الصالح » اي المتوحش الذي لم تفسده المدنية بعد ، اذ ان روسو كان يعتقد في نظريته المشهورة « ان الانسان يولد صالحا وان المجتمع هو الذي يفسده » .

وهذه هي الحجة التي تذرع بها روسو ، حجة براءة البدائي المتوحش وفضيلته لكي يدعو للرجوع الى الطبيعة والذوبان فيها على اعتبار ان الانسان طيب بالفطرة وصالح بالطبيعة .

وكثيرون ايضا من المعاصرين لروسو أعجبوا بالانسان المتوحش الطبيعي ، وعبروا عن اعجابهم هذا بانتقاد عادات ومؤسسات المتمدنين .

وفي نهاية القرن الثامن عشر وابتداء التاسع عشر لوحظ أدب ولطف « المتوحشين » في استقبالهم للرجال البيض الذين نزلوا في جزرهم .

ولكن بعد ذلك العهد بفترة قليلة جرت العادة على اعتبار اولئك البدائيين كجماعة معدومي التفكير والضمير في آن واحد .

وأخيرا وفي القرن العشرين عرف الناس أنه يجب دراسة تلك العقلية المتوحشة البدائية حتى يستطيعوا أن يستخدموا معلوماتهم فيما يفيدهم من الاشياء التي ذكرناها سابقا .

ان دراسة طريقة التفكير وطريقة العمل في شعوب افريقيا الوسطى والشمالية واميركا واوقيانوسيا بدأت منذ اكتشاف تلك المناطق . فان المستكشفين والمبشرين لم ينقطعوا عن تدوين كل ملاحظة يرونها في أخلاق تلك الشعوب وعاداتها ، ومن ذلك وصلت الينا وثائق لا نستطيع أن نقول عنها أنها صحيحة كل الصحة لانها ليست مستندة على تجربة أو على دقة في صحتها وانما تفيد الى حد بعيد .

ومنذ نصف قرن أدى اتساع الاستعمار ، واتساع فضول العلماء ، واختراع علم بقايا الانسان ، وعلم دراسة ووصف الامم ، الى مؤلفات عن العقلية البدائية هي بدون شك أكثر تنقيحا وأحسن أسلوبا من الاولى ، ولكن لا نستطيع أن نقول عنها انها صحيحة كل الصحة لان الملاحظين يفتشون أكثر الاحيان عن حلول لافكار كانت موجودة لديهم وينتظرون حلولها على طريقة معينة ، فكثيرا ما يخلطون بين حقيقة الحوادث وما يتصورون حتى أنهم أحيانا لا يرون الاشياء التي يتوقعون حدوثها .

والبدائيون طبعا يفكرون ويتكلمون بشكل يختلف عنا ، ولذلك فمن الصعب على الباحث الا يحور ولو قليلا ما رآه أو سمعه منهم ، ولذلك يجب الاحتراس دائما من شهادة وأخبار أولئك البحاثة . وان « ليفي برول » هو من أحسن من كتب وألف عن العقلية البدائية لجودة طريقته في البحث وصحة الاستنتاجات التي وصل اليها في كتاباته .

اذن فالعقلية ليست واحدة في العالم كله ، اذ أن العقلية البدائية لها صفاتها وقوانينها وهي لا تشبه عقليتنا حتى ولا نستطيع أن نستنتجها من تجاربنا على العقلية الخاصة ، ولذلك وجب علينا دراستها :

ان الاعتقادات والافكار المنتشرة عن الاقوام البدائية، حتى المتباعدة منها عن بعضها في المكان هي اعتقادات وأفكار متشابهة ، ولذلك نستطيع أن نقول أن هنالك آلية ابتدائية واحدة تحدث المظاهر التي نراها عند البدائيين . ولا نشك في أن لبعض الشعوب البدائية صفات خاصة ولكن هذا لا يمنع كما ذكرنا من وجود صفات عامة مشتركة بينها كلها .

ان صفاتهم صدمتنا في كل حين لما رأيناه فيها من الغرابة والاختلاف الظاهر الواضح عن عاداتنا وطبائعنا وأعمالنا . فهم يخلطون الاشياء التي نميزها نحن عن بعضها : فعندهم ان صورة الشيء هي نفسها ذلك الشيء . فهنالك أرملة ولدت ولدا من تمثال زوجها ، وهنالك كلب من الخشب يجري راكضا ، وهنالك نحات ادعى بأنه رأى حصانا في الطريق من نحته وصنعه .

كل هذه اعتقادات طبيعية عند الصينيين . وكذلك يعتقدون ان ظل الشخص هو الشخص بعينه : ففي جزائر فيجي يعتقدون أن السير على ظل أحدهم هو اهانة لا تغتفر ، وكذلك فالصيني يبتعد بحرص وحذر عندما يغلق باب القبر لئلا يقع ظله في القبر فيموت .

وعندهم أيضا أن الاحلام هي الواقع فلا يفرقون بين الحلم والحقيقة . فقد حلم قائد افريقي انه سافر الى بلاد « اوربية » وعند استيقاظه من النوم لبس لباسا أوربيا وهنأه تابعوه بعودته الميمونة . وكذلك حلم هندي بأن راهبا يسكن على بعد مائة وخمسين ميلا منه قد اتى اليه في الليل وسرق له ثلاثة يقطينات فخف اليه في الصباح يطلب تعويضا عن ذلك رغم بعد المسافة بين البلدتين .

وكذلك فهم يعتبرون أشياء عديدة مختلفة كشيء واحد :

فان أقوام البورورو في البرازيل يدعون بأنهم ببغاوات ، وأقوام الميكول في المكسيك يقولون ان الحنطة والوعل ونباتهم المقدس الهيكولي هي كلها شيء واحد . ففي كثير من القرى الهندية في كاليفورنيا يضحى سنويا بباز فيعتقد الهنود بأن البزاة التي قتلت في كل القرى ما هي الا باز واحد ، وكذلك يقول أحدهم ان الانسان يشرب مع ساحر دون أن يعرف ذلك ، وفي المساء يأتي

تمساح فيخطف قرويا ، وفي الليل تأتي قطة وتهاجم بيت الدجاج ٠٠ وفي الحقيقة ما الساحر والتمساح والقطة الا شخص واحد ٠

اذن فالبدائيون يخلطون ما نميز نحن ٠ ولكنهم بالمقابل يميزون ما نخلط نحن ٠ فالموت مثلا عندهم ليس كما هو عندنا ٠ فنحن نقول عن رجل بأنه مات عندما ينقطع قلبه عن الخفقان ويتوقف تنفسه ، وان ارقى المتمدنين عندنا لا يستطيعون التمييز بين اللحظة التي تغادر فيها الروح الجسم وبين اللحظة التي يموت فيها الجسم حقا ٠ فان هاتين النقطتين غير متميزتين عندنا ولكنهما متميزتين عند أقوام جزيرة الفيجي في افريقيا الوسطى ٠ فعندهم ان الموت يحصل منذ أن تغادر الروح الجسد ولو سبق ذلك موت الجسد بفترة طويلة (وطبعا عندهم أن الروح تغادر الجسد عندما يجمعون هم على ذلك) ٠

وهكذا يستطيع الانسان ان يتنفس ويخفق قلبه ويستطيع أن يأكل ويشرب ويتكلم ولكن اذا أجمع على أن روحه فارقت جسده ، أعتبر ميتا بصورة نهائية وبدىء دون تأخير بتسريح شعر الميت ٠

نحن نميز مثلا بين كاتب قصة ما وبطل تلك القصة الحقيقي بينما الاستراليون لا يميزون ذلك ، فمثلا اذا هوجم الاستراليون من قبل قبيلة مجاورة وقتل رجل منهم ، يتصرفون تصرف الجاهل للقتلة مع علمهم التام ومعرفتهم الاكيدة بالقبيلة المهاجمة ولا ينتقمون للحال ولا يعتبرون أنفسهم يعرفون القبيلة المهاجمة حتى يرجعوا الى المشاورات الالهية السحرية التي تدلهم على قبيلة أخرى فيذهبون اليها ويقتلون رجلا منها ويتركون القتلة الحقيقيين أحرارا يسرحون ويمرحون ٠

ومن صفات البدائيين أيضا أنهم يرون أسبابا حيث لا يمكن ان نفكر نحن في التفتيش عن أسباب هناك :

ففي الكونغو يعزون الجفاف مرة الى قبعة الرهبان التي يلبسونها في المناسبات الدينية ومرة أخرى الى ثيابهم الطويلة ٠ وكثيرا ما يحدث وصول حصان أبيض أزمة « اقتصادية » في البلاد ٠ ينتشر الوباء مثلا في غينيا الجديدة فيتهم سكان البلاد الراهب وامرأته بذلك ويطلبون اعدامهما ، ثم يهجمون على خروف الراهب ويضحونه وكذلك يضحون عنزتيه الاثنتين ولكن بما أن الوباء لا يتوقف فانهم يضمون صورة الملكة فيكتوريا المعلقة في غرفة طعام الراهب منذ مدة من الزمن ٠

وفي كولومبيا البريطانية يعزون سوء الطقس ورداءته الى أسباب فعلا غريبة عن تصورنا منها : اذا سرحت فتاة شعرها خارج البيت ، أو اذا غسلوا في ماء البحر جلد عنزة جبلية ، أو اذا جروا على الثلج جثة قنفذة أو غير ذلك ٠٠

ولكي يتوفق هندي الكويان الانجليزية في صيده يعذب كلابه أو يعذب نفسه أحيانا بتركه النحل السام يعضه أو بدلك جسده ببعض الديدان التي تحدث حكاكا في الجسم ٠

ولكي ينبت النبات بسرعة في غينيا الجديدة ، يجتمع الشباب والشيوخ والرجال والنساء في الحقل ويهتزون وهم يغنون ٠

ومن المحظر رواية الاساطير الشعبية الا في وقت بذر الحبوب لان هذه الاساطير ما هي الا لمساعدة نمو الزرع ٠ وهذه الوسائل التي يلجأون اليها ليوفقوا في صيدهم أو ليجنوا موسما طيبا هي في الحقيقة كما نرى مدهشة غريبة ولكن أخلاق البدائيين تبدو أغرب من ذلك في أشياء أخرى ٠

ففي الربع الاول من القرن الاخير أي القرن العشرين ذهب أوربي الى « نيوزلاندا » فأظهر السكان نحوه كل نزاهة واحترام ولم يسرقوا شيئا من الاشياء الاوربية التي كانت دائما بمتناول يدهم وحدث أن احترق بيت ذلك الاوربي فهجم الجيران من السكان على البيت ونهبوه بما فيه وهذه هي احدى العادات عندهم ، أي منذ أن تلم بأحد أصدقائهم كارثة ما يهجمون كلهم عليه ويجردونه من كل ما يتبقى لديه وهذا فعلا يدعو الى الاستغراب والدهشة ٠

وهذه هي أهم صفات وخواص العقلية البدائية مثلناها في هذه الامثلة السابقة والتي رأينا انها تختلف كل الاختلاف عن عقليتنا ٠ فما السبب في ذلك ياترى ؟؟

قالوا ان الاشخاص كلهم يتشابهون وانه ليس هناك سوى طريقة واحدة للتفكير هي طريقتنا الحالية ، وهذه أول فكرة تعرض لنا قبل أن نتعمق في البحث ٠ ولهذه النظرية قيمتها اذ اننا نقضي معظم وقتنا جاعلين أنفسنا مكان الآخرين لكي نستفيد من ذلك في توجيه اخلاقنا وعاداتنا ٠ وهذا معناه اننا نقتبس ما خفي علينا عن الغير لان الغير يماثلنا ٠ ولكن كلما ابتعدنا في الزمان والمكان عن عصرنا الحاضر كلما أصبح من الصعب لدينا أن نؤكد مع « أرلكين » ان البشرية هي صورة مصغرة لعائلتنا ٠

قالوا أيضا : بما ان الرجال كلهم مثلنا اذن يجب أن يكون تفكيرهم مثلنا مع فرق طبيعي في تفكير كل شخص منهم اذن فعقليتهم البدائية ما هي الا عبارة عن شكل منحط لعقليتنا ، وان عقليتهم كانت تابعة لنفس الشروط وتتبع نفس القوانين ، ولكن تلك التابعية كان

ينقصها الحماس والدقة والامانة • ولذلك فان البدائيين تركوا أنفسهم يسرفون في تجميع الافكار واستعمال مبدأ السببية أي (ان الشيء الفلاني حدث على أثر كذا بسبب كذا) وبذلك وقعوا في الجهل والخلط والحماقة والكسل، وبكلمة كانوا كأطفال كبار ولكن التجربة كانت تسير بهم نحو التقدم كما سارت بنا نحن •

هذه الآراء صادفت تأييدا وتبنيا في العقيدة الروحية لتايلور وفريزر ولانج ، فهم يقولون ان البدائي كالطفل يحيا كل ما حوله ويملأ الارض بأرواح تجد كل الحوادث أسبابها وتفسيرها في تلك الارواح • ولكن على ذلك كان يكفي أن نضع أنفسنا مكان البدائي وان نتصور معه أرواحا وراء الحقائق التي تبدو لنا كما تبدو له • ثم قالوا بما أن روحه وأرواحنا تسير على نفس الطريقة يصبح من الممكن ان نلقي نورا على أفكاره وأعماله وأن نعلل اختلافها وتقاربها •

وقد نجحت هذه الطريقة بصورة جيدة ولكن دوام النجاح يرجع الى عبقرية المعللين والباحثين أكثر مما يرجع الى امانة الطريقة المتبعة وجودتها • وهذا حقيقة لان التفسيرات الروحية هي محتملة ، وقريبة من الصدق، ولكن لا تتسع بالمقابل لاتصافها بأكثر من هاتين الصفتين • وهذه التفسيرات أيضا تعرض علينا كأنها ممكنة فقط وليس فيها صفة التأكيد • اذن فتفسيرات أو براهين محتملة وقريبة من الصدق وممكنة لا يمكن أن تكون مؤكدة مهما كثر عددها ، وبالعكس فان كثرتها تضعف قوتها اذ أنها كلها مبنية على نفس الاساس •

فانها تعتمد كلها على هوية الفكر البشري ولذلك لا تستطيع أن تبرهن ان ما تفرضه صحيحا • فهم يعتبرون أن هوية الفكر البشري لا تحتاج الى برهان ، وهذا في الحقيقة ما يجب اثباته بالوقائع لانه لو وجد بأن هذا المبدأ مغلوط لما استطاع عدد التفسيرات الروحية مهما كان كبيرا ان ينقذها من الخطأ •

ومن ناحية أخرى فان هناك اعتراضا أهم من الاول وهو ان طرق التفكير والعمل التي يريد العلماء الروحيون ان يضعوها أمامنا ليست شخصية أبدا ، أي لا تتغير من شخص لآخر وهي مشتركة بين أفراد الجماعة وموجودة هي بذاتها تقريبا عند كل واحد منهم •

وهكذا فان العلماء الروحيين يهملون هذه الناحية، أي بما ان العقليات البشرية هي عندهم متشابهة كلها فهم يهملون الجماعة ولا يعتبرون الا الفرد • فهم لا يأخذون بعين الاعتبار تلك الكتلة من المعلومات البدائية عن الاشياء والاحكام الاعتبارية التي يفرضها الوسط الاجتماعي على البدائي منذ ولادته والتي تغير طبيعة نظرته الى الكون والى البشر • فان البدائي الذي يتصورونه هو على العكس من ذلك فكر لا يحتوي شيئا من تعليمات الطبيعة ، واذا كان تقدمه بطيئا فما ذلك الا لانه لا يعلم شيئا وان عليه أن يتعلم كل شيء •

ولكننا نحن أنفسنا أعظم مثل للبرهان على خطأ النظرية السابقة فليست تجربتنا ولا عقلنا بمستقلين عن كل ما يحيط بهما • وهما لا ينموان أبدا اذا وجدا في انعزال تام • وان التوافق الفكري الذي يشاهد في أنحاء العالم بيننا وبين معاصرينا ، ليس هو طبعا نتيجة توافق بديع في الزمان أو توافق سري في الاصوات والالحان ، كلا ففي الحقيقة لسنا نحن انفسنا الذين بنينا تجربتنا وهذبنا عقلنا ، فقد ورثنا ذلك كله عن المجتمع الذي نعيش فيه •

فكلما سنحت الفرص ، كلما تعودنا على أن نرى الناس والاشياء كما يراها محيطنا ، وتعودنا على التفكير كما يفكر • ولا شك في أنه لكي نستحق أن يكون عندنا تلك التجربة وذلك العقل كان يجب أن نكون رجالا ، ولكن ليس رجالا فحسب فاننا لو تركنا أنفسنا لانفسنا دون مساعدة محيطنا أو مساهمته لما وصلنا أبدا الى ما وصلنا اليه • وربما شذ عن ذلك العبقري أو النابغة ، ولكن نحن نعتبر القاعدة ولا نعتبر الشواذ • فمن الواضح تماما انه لكي ينمو عقلنا يجب أن يكون اجتماعيا فحيال مشاعر وأفكار مشتركة عند الجميع تقريبا نصل الى القيام بأعمال يعملها الجميع ، وأصلها في الحقيقة لا يرجع الينا بل نحن مقلدون أكثر منا مبدعون وما هو صحيح عنا وعن زمننا يجب ان يكون صحيحا عن كل الناس وفي كل الازمنة • فان المعتقدات والعادات هي دائما كما يريدها المحيط وكما يكونها •

ولذلك يجب أن نعرف جيدا بأنه عندما نقابل بين العقلية البدائية والعقلية المتحضرة ، فنحن لا نقابل بين فردين : البدائي والمتحضر وانما بين شخصين من مجتمعين مختلفين •

هذه الملاحظة هي من الاهمية بمكان وهي ذات طبيعة تزعزع اعتقادنا خاصة في هوية التفكير البشري وفي عدم كفاية هذه البديهة • فان البدائي والمتحضر ، الاحمر أو الاسود أو الابيض يرجعون كلهم الى نفس النوع • فمن الناحية الجسمية أي الفيزيولوجية ومن الناحية النفسية أي البسيكولوجية التي تتعلق كثيرا أو قليلا بالناحية الاولى تقدم هذه الانواع من البشر نفس الصفات الاساسية : فان جملتهم العصبية لها نفس البنية ، وكذلك حواسهم هي نفسها • ويمكن ان يقال عنهم جميعا ان هذا حاذق وذاك غير حاذق ، هذا صالح

وذاك رديء ، هذا ذكي وذاك غبي الخ ٠٠ فمن نواحي الاعتبار هذه ليست الفروق الا قليلة وهي في الحقيقة شيء ضئيل بالنسبة للمشابهات الموجودة ٠ وهذه المشابهات الجسمية والنفسية هي قوية لدرجة اننا نستغرب ما نراه من تناقضات بين العقلية البدائية وعقليتنا ٠ ولكن اذا كانت هذه التناقضات كما قلنا لا ترجع في الحقيقة الى الافراد وانما الى المجتمعات التي ينتمي اليها اولئك الافراد يصبح على ما أعتقد من السهل فهم تلك التناقضات لان الفروق بين المجتمعات البشرية هي ظاهرة للعيان وجلية واضحة ٠

فان تشابه التنظيم فيها أبعد من أن يكون كتشابه العضوية البشرية ٠ فهناك كثير من أنواع المجتمعات من الاكثر بساطة الى الاكثر تعقيدا ، وكثير من الاختلافات في كل نوع من هذه الانواع ٠

وأظن أنه ليس من شبه بين قبيلة طوطمية وبين حكومة حديثة الا أن الاثنتين تتألفان من جموع بشرية ٠ فمن ناحية المظاهر الخارجية فان الفرق بينهما هو أكبر من الفرق بين الحيوان ذي الفقرات وعديمها أي أن الفرق شاسع جدا ٠

ومنذ أن نعلم أن المجتمعات المختلفة يوجد بينها اختلافات ظاهرة ، وان عقلية الافراد تابعة نوعا ما الى تلك المجتمعات التي ينتمون اليها ، تتوقف الفروق في العقلية عن أن تكون غريبة علينا ٠

وفي نفس الوقت فان البديهية التي تستند الى هوية الفكر البشري لا تعود قوية كما كانت عليه بل تضيع كثيرا من قيمتها ٠ فكل ما فيها من وجوه الصحة هو انها تقول : بما ان المجتمعات مركبة من الرجال فان الصفات المشتركة بينهم في الناحيتين الجسمية والنفسية يجب ان تكون مشتركة أيضا في كل العقليات التي تضمها المجتمعات ٠

ولكن الرجل لا يستطيع الا ان يكون فردا في مجتمع ومنذ أن يكون ذلك فان مشاعره وآراءه وسلوكه تتخذ أشكالا خاصة لا تعود الى مجهوده الخاص أو الى اقدامه فقط ٠ وهكذا اذا تجاوزنا الحدود النفسية الفيزيولوجية لا نعود نستطيع التحدث الا عن هوية وهمية للافكار البشرية لان بعض الاشياء كالسلوك والآراء والمشاعر الحقيقية كيفما كانت والتي يتمتع بها كل الافراد والعاديين ولو نظريا ، تختلف في الزمان والمكان ولا تستمد غرابتها من اولئك الذين يعتقدون بتقمص التجارب والعقول الشخصية والذين يحافظون على فرديتهم على مر الاجيال ، وانما تستمدها من فروق التعقيد في المجتمعات بل حتى من الطبيعة الخاصة بالمجتمعات التي تنمو فيها تلك الاشياء السابقة الذكر ٠

هذا هو مبدأ الطريقة التي اتبعها ليفي برول في تعليل العقلية البدائية ٠ وبرفضه هوية الفكر البشري ورفضه ارجاع الاعمال الفكرية الى شخص بمفرده فان ليفي برول يرفض أيضا ان يكون تفكير البدائيين كتفكيرنا ويتصور ما كنا نفكر به لو كنا في مكانهم ٠

ومن الوثائق المتعلقة بالعقلية البدائية استطاع ليفي برول ان يستنتج طرق الشعور والتفكير والعمل عند البدائيين ، والتي هي مشتركة عندهم جميعا ، والتي هي ثمرة الجماعة وليست ثمرة الافراد بما انها لا تخص أحدهم بمفرده ٠ ودرس ليفي برول أيضا الآلية الفكرية التي يتبعها البدائيون والتي تبدو مظاهرها في طرق عملهم وشعورهم وتفكيرهم ، وقد استنتج من ذلك أن طرقهم تستمد نظامها من بعضها وليس فيها أية ارادة فردية ٠

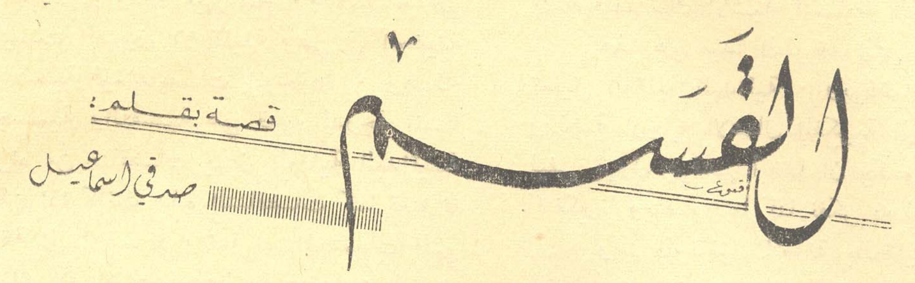
وكذلك فان عندهم صفات ثابتة تنتقل من جيل الى جيل ٠ ولديهم أيضا قوانين خاصة بهم فان صفات وقوانين العقلية البدائية لا تماثل صفات وقوانين عقليتنا الحالية ٠ ولكن لا يجب أن نعتقد لذلك بأن صفات وقوانين تفكيرنا هي مختلفة كل الاختلاف عن صفاتهم وقوانينهم فانه من الخطأ أن نظن بأن صفات وقوانين التفكير البدائي قد زالت تماما من فكرنا بل هي موجودة ولها قيمتها ودورها ، ولكنها لم تعد تسيطر تلك السيطرة القوية التي كانت لها ٠

ويبدو لاول وهلة بأن العقليتين البدائية وعقليتنا تتضادان وتظهران كأنه لا يمكن انسجامها ٠ ولكن اذا اتبعنا مجرى التاريخ نرى أن العقليتين تتكاملان وان عقليتنا ما هي الا منحدرة من العقلية البدائية بواسطة سلسلة من التغيرات ٠ فان تاريخ العقلية البشرية ليس هو في الاساس الا عبارة عن تغير مستمر يحدث في الفكر فيعقبه انقلاب في القيم الفكرية فينمي تجربتنا وعقلنا ٠

ومن وجهة النظر هذه يبدو انه ليس من المستحيل الدخول الى العقلية البدائية اذا ما نظرنا الى عمل الاجيال الطويل الذي حقق المرور في مراحل لم يكن بأمكان أي خيال ان يعلمنا اياها ٠

وعلى كل حال فان العقلية البدائية لا تصبح بناء على ذلك كشكل أولي أو صبياني لعقليتنا ، وانما هي طبيعية في الشروط التي تجري فيها ، وهي معقدة ومبسطة حسب طريقتها ٠

واذا نظرنا اليها في طبيعتها الخاصة وجدناها متماسكة كل التماسك ومنطقية في حد ذاتها الى حد بعيد ٠



منتصف الليل ...

الليلة لا أستطيع الرقاد . أول يوم من عامي الخامس والاربعين ، وما أزال أشعر بأنني على عتبة الحياة . ليس من السهل على الانسان أن يحمل تعاقب الزمن في مثل هذا الشعور الصبياني الساذج . قد يكون من مظاهر التفتح والعنفوان في آخر سنوات الشباب ، لولا هذه العزلة الموحشة . انني أنحدر ، هذه هي الحقيقة .

أويت الى المرسم بعد الغروب ، وبدأت لوحة « النسر » ، الرمز التقليدي لكل منفرد تأسره الكبرياء ، أصبح هذا الموضوع مشاعا حتى بين طلبة المدارس . ولكن الشكل هو للجميع دائما . الايحاء الاول هو النزوع الى الاعلى ، ولكن من الحضيض . لانني من كائنات هذه البلاد . ذلك هو الحافز العميق لهذه اللوحة أو الفكرة المحركة كما يقول السادة النقاد ـ ما دامت كل لوحة في نظرهم تعبر عن شيء ، ولم أكن من هذا الرأي في أي يوم . في رأيي ان الفن يبدأ دائما من الجسد ، من الاحساس المادي المحض . هذه اللوحة مثلا نشأت من انطباع عابر في مشهد الغروب ، اللحظة التي يومض فيها الافق بآخر توهجات النهار ، ويمتليء الفضاء بذرات من النور المشرق كأنها التبر يتساقط في فراغ لا لون له ، ثم يخمد كل اشراق . حملت هذه اللحظة في جوارحي في كل خلية من كياني . وخلال العودة نمت وازدهرت في سديم من شتى الملامح . وجاءت صورة النسر في الاخير . لانه لا بد من شيء يراه الآخرون . كان يمكن أن يكون عاصفة ثلجية أو عروق شجرة في الصباح أو آثار أقدام في مكان مقفر ، أو أي شكل آخر ، دون أن يتبدل الاحساس .

رسمت الارضية العليا : الفضاء الطليق الذي يتوج الذرى في ابعاد نائية من اللازورد الشفاف . ثم توقفت وفي أعماقي حسرة باكية ، وغمغمت وأنا أضع الريشة جانبا .. ولكن الاسفل ، القاع .. هو البداية .. وانبثقت فجأة طفولة حياتي . كل كائن يبدأ طفلا بريئا ، نقي الانفاس . أما أنا فقد بدأت بالهرم . ليست شيخوختي ، بل شيخوخة العالم الذي وجدت فيه . كان ابي يحب شجيرات العطر والنبيذ ، ويؤمن بالله والعالم السماوي الخالد . ولكنه لم يؤمن بالانسان . ومن ثم كان شقيا أبدا . كان يحب الخير للجميع ولكنه كان يرى البشر لعنة الارض ، لا لانهم أساءوا اليه فحسب ، بل لانهم لا يستطيعون الا النذالة والشر . وكنت أحب أبي من أجل طيبته وعجزه عن الاساءة ، كان يبدو لي أحيانا من الذين يجدون متعة في أن يخدعهم الآخرون . وهذا ما ورثته عنه . الفرار من الواقع وعدم المقاومة . جميع الآباء يخلفون فضائل مماثلة حين يموتون ، ذلك ما يرويه الابناء على الاقل . أما أبي فانه ما يزال حيا يرعى البيت الذي ولد فيه . كوخ صغير في قرية بعيدة ، العالم البائس الذي فررت منه دون حنين . في البدء جمعت الفراشات وأوراق الشجر النادرة ، والازهار اليابسة ، وحين بلغت الثانية عشرة صنعت تماثيل النسوة العاريات ، ورسمت الحيوانات البرية بأقلام الرصاص وفي العشرين كان القسم ..

لماذا تغزوني الليلة هذه الخواطر ؟.. انني مريض « النسر » الذي يقتلع مخالبه من أشلاء جيفة لكي يمضي في الآفاق .. ولكن لماذا الانطلاق ! لماذا السماء النائية؟.. لان الارض لم تعد تمنحنا الاحلام الجميلة . ولم يعد خيالنا قادرا الا على ابداع المخازي . ولكننا مع ذلك ، ما نزال نخاف العار .

★ ★ ★

....

حصاد اليوم : دراسة بالخطوط الصافية عن شفاه الاطفال في حالة الغضب : وهذه الكلمة من كتاب « المعرفة السارة » للفيلسوف « نيتشه » : « من أراد دراسة الامور الاخلاقية ، عليه أن يدرس تاريخ الاهواء البشرية » في صفحة أخرى من الكتاب يسخر من الباحثين عن غاية الحياة ، ولا سيما الاخلاقيين « الافاضل » . غاية الحياة هي حفظ النوع ، فلماذا وضع العراقيل أمام الفكر الحر ؟..

الانسان هو الغريزة . ووراء كل أخلاق نزوة مختنقة . انها قصة حياتي ، الصراع الذي أعانيه منذ القديم . أحجم عن كل رغبة يمكن ان ترفض لانها

دنسة ، ولو كانت كذبة بيضاء ٠ لست قديسا ولا واحدا من اولئك المتزمتين الذين يتحدون طبائع الاشياء بمقاومة مغرورة ٠ بل انني حيوان أخلاقي ـ كما يقال أحيانا ـ أو من بالحياة والجسد ولكنني أرفض الابتذال منذ أن أشعر بأنني قد أكون أداة صماء صالحة للاستخدام أتراجع وأجبن عن كل فعل ٠ شيء من الهوس يشبه وسواس النظافة عند بعض النساء ٠ ومما يزيدني قلقا في هذه الناحية انني أرى الجميع من حولي أدوات في أيد مجهولة ٠ يوضعون هنا وهناك دون أن يعرفوا لماذا ٠٠ ويتصرفون في جرأة المغامرين الاحرار ، ولكن الحرية لا تعنيهم على الاطلاق لان جميع الغايات قد حددت لهم من قبل وكانوا دائما « تحت التصرف » ٠٠ لكم أحسدهم على هذه الطمأنينة !٠٠ ان يكدسوا الملذات والتجارب والمقتنيات ، غير مكترثين بالطاغية الخفي الذي يعبث بهم في استهتار ، كما تعبث الفصول المتعاقبة بمصائر الاحياء ٠٠ حين أتمثل هذا الطاغية يمتلكني دوار مخيف ، لانني أراه متغلغلا في كل شيء بهذا الشعار العريق : « جميع الاعمال مباحة ٠ » تارة يستخدم المزاج وتارة حاجات الجسد وأحيانا يصنع رجال السياسة وأهل الفكر والفنانين النوابغ ٠٠ ولكن من هو ؟ ٠٠ ما من أحد يعرف ٠٠ المهم اننا جميعا من رعيته الصالحة ٠٠

★ ★ ★

٠٠٠٠٠٠٠

اتهيب العمل مهما يكن عاديا وأخاف المبادرة الى أي فعل ، كأنني من جنس متخلف عن العصر كله ، ما يزال في مرحلة التصور والحلم ٠٠ لا ريب ان الانسان الحالم كان أولا ، ثم بدأ يصنع الادوات ويعمل ٠ وقفت اليوم أمام شجرة هامدة الفروع ، في ظهيرة صيف حزين ٠ الجذع الرمادي الصلب ، وانصهار الشمس في الاوراق الخضراء ، والزرقة المتمكنة في كل فراغ ٠٠ اين الحياة في هذا الكائن الابدي ٠٠ يقولون ان لاشجار هي أقدم الاحياء وأشدها رسوخا في الارض ، فلماذا تقبع في مكانها على هذا النحو الذليل ؟٠٠ هل حلت بها لعنة قديمة ـ كما تقول عجائز القرية فحتمت عليها هذا المصير ؟ نعم ٠ الضربة السحرية وجدت منذ الازل ، لان بعض الاشياء يجب أن تتيبس في مكانها وتهمد ٠ لا بد أن العالم في حاجة دائمة الى التعقيم ، مثل حاجته الى الخصب والنماء ٠٠

٢٤ أيار ٠٠٠

اليوم ينقضي عشرون عاما على القسم ، مأساة حياتي ، حكاية العمر كله ٠ ما أزال أرتعد انفعالا كلما استعدت هذه الذكرى ٠٠ بل انها تنمو أبدا وتتسع كما لو أنها الشيء اليقيني الوحيد في تاريخ الزمن ، ولكنها مع ذلك لا تلوح الا في حشد من المشاعر المضطربة الشحوب الواجف والصقيع الذي يتحرك في كل عصب ٠ لماذا يحتفظ الجسد بمرارة الخيبة ، في حين يمحو الفكر كل آثارها وتنساها العواطف !٠٠ لماذا يضطرب الدمع في الجفون من أجل حزن غابر ؟٠٠ قد يموت الماضي في كل شيء ، في المشاعر والمعتقدات والافكار ، ولكنه حاضر أبدا في الجسد ٠ ومن ينسى حرارة دمه في أول جرح ، وخفقه القلب في الخوف البكر ، وانفاس القبلة الاولى؟٠٠ نبضات رائعة تختزنها الخلايا الحية في حنين صامت ٠٠ أما أنا ، فقد اختزنت معها العار في العصب والدم ٠

كانت الليلة ممطرة في أواخر الشتاء ٠ والريح ساكنة بعد اعصار النهار ، وليس في الشارع الا أوراق الشجر تزول عنها ضوء المصابيح في لمعان واهن ٠ وكانت الارصفة عارية كالصفيح المغسول ٠ وكنت العابر الوحيد بل كان معي الحب والرغبة وأول موعد آثم ٠٠

كانت فتاة رقيقة ، لينة الملامح ، في عينيها شيء من انسياب الجدول الصافي ، وشفتاها في عذوبة النرجس الغض ، وكانت يانعة الاعطاف ٠٠ كل ما تعتد به الانثى حين يؤسيها النحول ٠ لم يكن أجدر منها بالرغبة والحب ٠ أحببتها أماسي الصيف العبقة ، واعنف رياح الخريف وأعاصير الشتاء ٠ ساعات عاصفة من الوجد والانتظار تملأ العمر كله ٠٠ ياآلام الحب ، لو يستطيع القلب أن يزيح عنها النقاب في الوقت المناسب !٠٠ لو يتحرر من الاوهام لحظة واحدة في غمرة الانفعال ٠٠ اذن لكان ضوء القمر أغنية عذبة تترقرق في الجوانح ، وكان صمت الشارع في منتصف الليل نداء الغبطة والصفاء ، وكان الضياء الخافت في نافذة الحبيبة مجرد وشي أصفر يغرق الستائر بوداعة السكون ٠٠ ولكننا واأسفاه ، نحب لاننا نعشق الاوهام ، لان الخرافة شيء في الدماء ٠٠

لا بد من هذا الاسهاب ، فقد كان اللقاء مختلسا ، والهوى الجامح في عنفوانه ، ومن ثم كانت جميع الاشياء حولي في يقظة حارة : حجارة الرصيف ، والجدران والزوايا المعتمة ، وهمسات الفراغ وابتلال الفضاء بأنفاس الشتاء ، وكل ما يضيفه خيال الشعراء الى حكايات الحب القديمة ٠

وقالت وهي توصد الباب ، وفي شفتيها الدائتين لهاث الخائف المستسلم : « لا بد من الحذر !٠ الليل طويل ٠٠ » ٠ ولكنه لم يطل بنا كثيرا ، فما كاد يوغل في سكينته الابدية حتى أفقنا معا على صقيع العار ٠٠ هذه هي العبارة التي رددتها منذ تلك اللحظة ٠ ورأيتها تبكي وشفتاها تتلعثمان بمرير الكلمات ٠٠ بل كانت تصيح دون أن تلتفت الي :

ــ لا أريد أن أراك !٠٠

وشعرت بأنه لم يعد لي مكان في القصة ٠ لقد أصبحت ملكا لها وحدها ٠ لم أكن أكثر من موجة دخان عابر ، آن أن تتبدد ، وعرفت في تلك الهنيهات الحزينة أن العبث يتغلغل في كل شيء ، تراءت لي التجربة في أحقر مظاهر الدناءة والعهر ٠٠ استجابة جسدية باهتة، ولا شيء أكثر ٠٠ أشبه ما تكون بارتماء الشفاه الظامئة على غدير ماء أو انقضاض الوحش الجائع على فريسة سهلة ٠٠ لماذا قدرت على الجسد جميع الملذات ، دون ثمن ، وانفردت لذة الجنس بالخيبة والندم ؟٠٠

وخرجت وقد أثقلتني المشاعر القاتمة ٠ وكان الفجر البعيد يصقل حواشي الليل بآفاق كدراء من الزرقة العميقة ، أشبه بصفحات البحر في مساء ربيعي غائم ٠٠ ما تزال هذه العتمة الموحشة تنبض في كل احساسي وتهيمن على الوجوه والاشياء ، وساحات الابعاد في جميع لوحاتي ، شبهها أحدهم ذات يوم بالظلال الجاثمة في معبد مهجور ٠٠

ما حدث بعد ذلك انني عدت أدراجي قبل ان ابلغ نهاية الرصيف ٠ خيل الي انها كانت تناديني ٠ فرأيتها تمسح الدموع وفي عينيها ابتسامة مشرقة ٠ وقالت :

ــ أخيرا ٠٠ هذا هو الحب !٠

لم يكن في لهجتها عتاب أو حزن ٠ بل لفظت هذه العبارة في شيء من عدم الاكتراث ، يكاد ان يكون استهزاء ٠ ورأيتها في تلك الساعة تعود الى الطمأنينة والمرح كأن الحياة لم تكن الا من أجلها ٠٠ حتى الدموع المجففة على وجنتيها تحولت الى حمرة اثيرية تشبه طلائع النضج في ثمر متخلف ٠٠ وخطر لي ــ وهذا ما أذكره في وضوح ــ ان العالم كله ، بما فيه هذه المرأة الصغيرة ، يستطيع أن يستعيد نظافته في كل حين ، أما أنا فلا أستطيع ٠ وتملكني غيظ داخلي مبهم أشبه بثورة مختنقة على عدد مجهول ٠٠ ثورة مثقلة بالهوان ٠٠ أي مخلوق عجيب كنت في تلك اللحظة !٠٠ كان علي أن أفعل شيئا أرد به الهوان ٠٠ فأقسمت ان لا أعرف التجربة الى ان أموت ٠٠ مثلما يقسم الصغار أحيانا أو الانسان الابتدائي أو مرضى النفوس ٠٠ وغادرت المنزل دون وداع ٠٠

هذه اللعبة الصبيانية أصبحت كل حياتي ٠ كان القسم ينمو يوما بعد يوم ، كالبذرة الندية في أرض خصبة ٠ وها أنذا بعد أعوام كأنها العمر ، ما أزال على العهد ٠ لم يعد يعنيني أمرها بعد ذلك ، سواء لدي أصبحت أما أو بغيا أم طواها الموت ٠ ما يعنيني أن الزمن يمضي ولا أستطيع الرجوع ٠ لم اتساءل يوما لماذا كان هذا الرفض العنيد ، وحين يعذبني الحرمان استنجد بكآبة الجسد يوم صعقته مرارة العبث فأجد نفسي الآبق الوحيد بين هذه القطعان المسكينة من الادوات البشرية ٠٠ أي وهم أحمق اتقنع به بين الآخرين ٠٠ ولكن جميع المخازي تتستر بالاوهام !٠٠

★ ★ ★

لا أحب الحياة العصرية لانها خالية من الوفاء ، أعني ليس فيها عهود تمتلك المصائر ٠ الذين صنعوا التاريخ أقسموا على شيء ، رفضوا الخدمة الممتعة التي تبيح لهم أي شيء آخر ، ولهذا انقرضوا ٠ بل بقيت منهم هذه الحفنة القلقة من الفنانين ٠ هل أنا واحد منهم ؟٠٠ والا لماذا أحس أبدا انني قديم ؟٠٠ أحن الى القواعد الصلبة والخلق الوعر ٠٠ وانفر من جميع المعاصرين لانهم يترنحون من الرخاوة ٠٠ هل يتحركون الا على الصفير ، وايقاع الطبل والنفير الصائح ؟٠٠ لولا الاجراس المنبهة لغرقوا في السآمة الى الابد ٠٠ انها قصة الجسد أيضا ولكنهم يرفضون الاعتراف ، بل يسمونها أغوار النفس السحيقة ، الكوامن الدفينة التي تعد العالم بالمعجزات ٠ وما الى ذلك من خوارق «الذاتيه» و « الشخصية » وأصالة المزاج ٠٠ ياللكذب والرياء !٠٠ لا اصالة الا فيما يملكه الجميع ، أعني العرف الراسخ ٠ والجسد وحده يصنع أجمل الاعراف ٠ اللسان الفصيح أعطى بلاغة الشعروقوافيه ، والاذن خلقت بناء السمفونيات الشامخ ، والعين البصيرة أبدعت تآلف الخطوط والالوان ٠ هذا ما قدر للجسد حين استطاع ان يقهر نزواته الخاصة ، حين رفض ان يكون اداة صماء ٠٠ لا بد من أن يموت شيء في الجسد لكي تستيقظ فيه شهوة الابداع ٠٠ ولكننا نعيش في عصر الغرائز الجامحة ، ومع هذا فالذكاء المبدع يتحرك في كل مكان ٠٠ أجل ٠٠ انها النزعة الى تخريب الجسد ، الكحول في العالم المتحضر ،٠٠ والمخدرات في الشرق من جميع الانواع ٠٠ والقتل بالجملة ٠ من قال انها الوثنية ؟٠٠ وصية من الانبياء القدامى : « الجسد مقبرة الروح ٠ »

الساعة الرابعة صباحا ٠٠

نسمات الفجر الندية ، ولكن الاشياء ما تزال غارقة في الظلام ٠ صورة الحنين الى الماضي ٠ يقولون ان الذكريات تخلع ألوانها مع الزمن ، ولاتبقى منها بالاصوات والحركات المبهمة ٠ ولكن ذكرياتي تضمحل جميعا في احساس غامض لا أملك التعبير عنه ٠ أسميه تارة « نشوة الطهارة » ، وتارة « متعة الاستسلام للعذاب »، وأحيانا أصوغه في هذه الخواطر الغريبة : ماذا تعني حياة الانسان اذا لم يستطع ان يعطي كل حياته ، أو يصهر وجوده بأسره ــ كما يقولون ــ في تجربة واحدة ، في حادثة مفردة تقطع عليه جميع الطرق !٠٠ وهذا ما فعلت ٠٠ ولكنني ارتاب أحيانا واتساءل :

« اذا كان في حياة كل انسان قسم من هذا القبيل نوع من التحريم الابدي في شيء ما ، وان كان الكثيرون لا يذكرون حادثته ، ولا يعرفونه ، فهل كانت هذه حادثتي الفريدة ؟ » ٠٠

الى .. حسناء لبنان

شعر : بدوي الجبل

فديت سمراء في لبنان لو رضيت
هوت لسمرتها الاقمار سمارا

قدسية الحسن يستجدي براءتها
عاري الذنوب فيكسي الطهر والغارا

يوزع الليل من أحلام غفوتها
عطرا ويبدع أطيافا وأسرارا

شعري وحسنك • أغلى الله سحرهما
كلاهما صيغ أطيابا وأنوارا

جاران فوق جبين الشمس قد نزلا
لا ينبل الجار حتى يكرم الجارا

لولاهما عند خلق الكون ما وجدت
مشيئة الله اسبابا وأعذارا

عبادة النار من عينيك قد خلقت
لا يعبد الحب ، من لا يعبد النارا

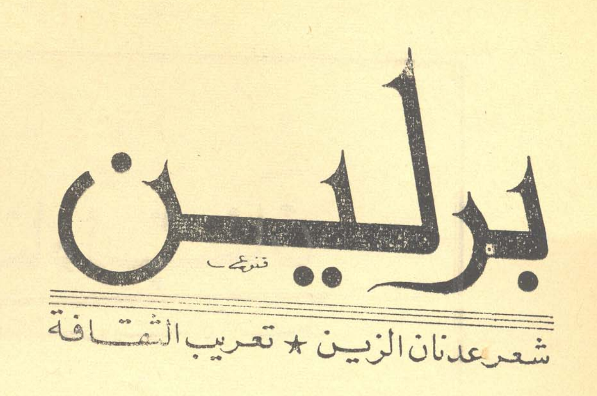
لا تعجبي من صبابات الكهول ولا
تروعي الشيب اجفالا وانكارا

نحن المحبين أغرار وقد زحمت
غرارة الحب أقدارا وأعمارا

أكرمت حسنك بالاشعار مترفة
هل يكرم الحسن أحزانا وأشعارا

ان شطت الدار عن عيني فما رضيت
بغير لبنان أحبابا ولا دارا

بدوي الجبل



تحية لك يابرلين يارمز الشجاعة
يا عاصمة العالم وموطن الآمال
ان النظرات التي يوجهها العالم اليك هي نظرات الحب
التي تجيء لتخفف من مصابك وآلامك
انك تبتسمين بألم ، لكنك ابتسمت أيضا
عندما عرفت أن تكسبي التقدير العظيم
من عالم يقدر عظمتك ويكن لك الحب
ويجد فيك رمزا للشعوب
حسانك الفاتنات ، بشعورهن الشقر
وفي الاماسي والليالي ، تروين بتواضع شديد
الحكايات التي تعكر صفحة هذا العالم
الحكايات المذلة عن جدار العار الحزين
لقد اطلع العالم على الفقرات القاتمة
التي ينقلها التاريخ لابنائنا
فيتحمرون خجلا وهم يقرأون تلك الصفحات
التي تلطخ ماضي الشعوب بالسواد
لكن لم يكن هناك عمل بمثل هذه الدناءة
ولم يحدث أبدا مثل هذا الجرم الكبير
ولم يحدث أبدا في الماضي مثل هذه الحقارات
التي دنست الجنس البشري
ان المعتدين والطغاة ، ومجرمي كل الازمنة
بعد أن قارنوا جرائمهم بهذه الفظاعات
شعروا بالمواساة وبأنهم أبرياء أيضا
من كل الجرائم التي ارتكبوها بحق الانسانية
أجل لقد قتلوا الكثيرين ، لكن قتلاهم ماتوا
أرواحهم ذهبت الى السماء والجثث المسكينة
التي بقيت على الارض والتي ندعوها أجسادا
ليس بوسعها أن تموت مرتين وستصبح غبارا
أما في أيامنا هذه ، وبين أحضانك يا برلين الجميلة
يقتلون مرات كثيرة عقول أطفالك ،
الذين يشعرون أنهم يموتون كل صباح وكل مساء .
وهم يستمعون الى أخوانهم وهم يتألمون عند الطغاة
لقد رفعوا جدارا ، ولك العمل البغيض
جدارا مكروها جدا تخاف العين أن تراه
وكما يقال عن هذا العمل البغيض الممقوت
ان الشيطان هو الذي قام به بيديه السودايين الحقيرتين
لقد فصل الاخ عن أخيه على الرغم منه ،
كما أن الطفل الخائف ينادي أمه
لكن الام هناك وراء الستار
تئن في صمت وتبكي ببطء
والاب ذو الشعر الرمادي والذي هرم بسرعة قبل الاوان
يتجول برزانة قرب الجدار
يأمل أن يحصل على رسالة صغيرة
تجيء اليه من زوجه أو من أطفاله
انه هناك كل يوم ، وكل يوم يتمنى
ينتظر بفارغ الصبر نهاية لآلامه
وأحيانا يقول سأراهم
ويطلب الى الله أن يمنحه القوة والصبر .
يا امهات العالم قاطبة ، استمعن معي ،
الى هذه الاغنية الحزينة ، والانشودة الشجية ،
التي يرسلنها اليكن أمهات برلين البائسات
كي تفكرن في مصيرهن خلال ابتهالكن الى الله .
وأنتم يارجال العاطفة ، رجال العالم الاحرار
تطلعوا معي اذن الى هناك نحو جدار العذاب
وانصتوا معي الى تلك العاصفة التي تهدر
ذلك غضب الاله ضد المظالم
أيها الاموات هبوا ، لان الاحياء قد ماتوا
وأنت أيها الامبراطورالكبير يا شارلمان العظيم
أيقظ فرسانك الابطال وابذل جهدك
لازالة الشر الذي يهيمن على ألمانيا

BERLIN

Par : Adnan Zein

Je te salue Berlin, symbole de bravcure
Capitale du monde, foyer de l'esperance
Les regards qu'on t'envoie sont des regards d'amour
Qui viennent consoler ta peine et ta souffrance

Tu souris en souffrant, mais tu souris quand même
Tu as su acquérir la grande admiration
D'un monde qui chérit ta grandeur et qui t'aime
Et qui retrouve en toi l'exêmple des nations

Tes charmantes beautés avec leurs têtes blondes
Par les soirs et les nuits, très humblement racontentf
L'histoire qui ternit la face de ce monde
L'histoire humiliante du triste mur de honte

Le monde est au courant des lugubres passages
Que l'histoire rapporte a nos générations
Et l'on rougit de honte en relisant ces pages
Qui sont les tâches noires de passés des nations

Mais jamais action n'e ete aussi lâche
Jamais plus grand forfait n'a êtê accompli
Jamais dans le passé une si noire tâche
n'avait le genre humain si bassement sali

Oppresseurs et tyrans, criminels de tous temps
Comparant leurs horreurs a ces férocités
Se sentent soulagés presque même innosents
De leurs crimes commis envers l'humanité

Ils ont tué c'est vrai, mais les morts sont bien morts
L'âme s'en va vers Dieu et la triste matiere
Que l'on laisse ici-bas et qu'on nomme le corps
Ne peut mourir deux fois, elle devient poussière

Tandisque de nos jours en toi jolie Berlin
On tue plus d'une fois l'esprit de tes enfants
Ils se sentent mourir les soirs et les matins
En entendant gémir leurs frères chez les tyrans

On éleva un mur; .. Action abominable,
Un mur si répugnant et si horrible à voir
Que l'on dirait l'action horrible et détestable
Que le démon a faite de ses viles mains noires

Le frére est séparé malgrè lui de son frêre
Et l'enfant apeuré appelle sa maman
Mais la mère est là bas derrière la barrière
Gémissant en silence et pleurant lentement

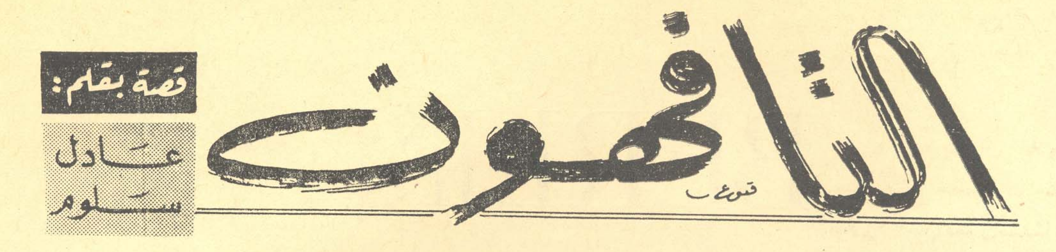
Le père aux cheveux gris, vieilli bien avant l'âge
Aux alentours du mur r ode discrètement
Il espère obtenir un tout petit message
Provenant de sa femme ou bien de ses enfants

Il est là tous les jours et toujours il éspère
Il attend patiemment la fin de ses souffrances
Je les reverrai bien se dit parfois le pére
Et il demande a Dieu la force et la patience

Mères du monde entier écoutez avec moi
Cette chanson plaintiive cet hymne mélodieux
Que les pauvres mamans de Berlin vous envoient
Pour penser à leurs sorts, dans vos prières à Dieu

Et vous hommes de coeur, hommes libres du monde
Regardez donc la-bas vers ce mur de supplice
Ecoutez avec moi ce tonnerre qui gronde
C'est la fureur de Dieu contre les injustices

Omorts ressucitez car les vivants sont morts
Et vous Grand Empereur, O vous grand Charlemagne
Réveillez donc vos preux et faites un effort
Pour effacr le mal qui règne sur l'Allemagne



انهض مرة اخرى عن فراشك ٠٠ واذرع الغرفة حائرا موهنا للمرة العشرين لن تستفيد شيئا ايها التعس ٠٠ الجدران الخرساء المشبعة بالصمت والوحشة تحيط بك وتضغط رأسك ٠٠

انك توشك ان تنفجر ٠٠ لكنك لا تجرؤ على النظر الى المرآة ٠٠ انت تخاف ان تواجه نفسك ايها الهروب ٠٠ ماذا ستفعل الآن وهـذا الرعب الاخرس يعشش في اعماقك ٠٠ يملؤك ويحملك كشيء تافه صغير الى مجاهيل حيرتك البلهاء ٠٠٠ انك تنسى دوما ان تعيش حياتك ٠

سر ما شئت حافيا على بلاط الغرفة البـارد ٠٠ ستظل مهزوما ملقى في العدم ٠٠ مهما شددت صنبور الماء ٠٠ ستظل هذه النقطة اللعينة تسقط برتابة تجرح الصمت حولك ، وتمزق اعصابك ٠٠٠ ضع قطعة قماش مكان سقوطها في المغسلة ٠٠ لقد انقطع الصوت ، لكنك لن تنام ابدا أيها الكئيب ٠

ان وحشا يقبع في اعماقك ، يرعى وعيك ، وينهش بأنيابه الصفر كل اتزانك وهدوئك ولا يبقى منك غير حطام بشري يدور حول نفسه في غرفة ارضية باردة **يقبع العالم بكل ثقله فوقها** ٠٠

اشعل سيجارة جديدة ، لقد اوشكت علبة السجاير السادسة ان تنفد ٠٠ منذ يومين لم تذق طعاما وانت تدخن ٠٠ تمتص حيرتك مع الدخان الازرق ٠٠ تتشرب بنهم مسعور هذه المرارة الضبابية ٠٠٠

حتى م تبقى وحدك ملفوفا بالتعاسة والكآبة !؟

حتى م تبقى منطرحا في مدك **الذي لا ينحسر** الا عن الحزن الازلي الذي اتخذ هيأتك وملامحك ؟!

أية حياة هذه التي تبحث عنها ٠٠٠ أية حياة ؟!

أتكون الحياة ـ مهما تسربلت بالروعة ـ اعظم قيمة من الموت ٠٠٠ هذه فلسفة جوفاء لا تقودك الا الى الانهزام والارتماء الغبي ٠٠

انت تظن ، انه لا بد ان تكون في مكان ما ٠٠ حياة ارقى واروع ٠٠ حياة تستحق العيش والامل والاستمرار ٠

ولكن حياتك ايضا تستحق العيش والامل ٠٠ كل حياة مليئة ذاخرة ٠٠٠ انظر فقط الى منابع النور ٠٠ تخلى فقط عن رفضك الارعن هذا ٠٠ الذين يرفضون الحياة يعيشون وحيدين ويدفنون في اماكن نائية عـن العالم ٠٠

انفخ في يديك الهزيلتين الباردتين ٠٠ ودر حول نفسك ما شئت ٠٠ هل كان ضروريا ان ينفد الوقود عندك ، **وتنطفىء المدفأة في هذه الليلة الجهنمية الباردة** وينخر البرد عظامك في هذا القبو البارد الذي ينحشر مذلولا في قعر هذه البناية العملاقة ٠٠ هل كان ضروريا ألا تجد ما تدفيء نفسك به ، لتشعر انك وحيد ٠٠ وانك مسكين تستحق الرثاء ؟!

ألم تتعب وانت تدور وتعب هذا الدخان المليء بالمرارة ؟!

لا تفتح المذياع ٠٠ في هذه الساعة المتأخرة من الليل لن يتسرب الى اذنيك اي نغم أو صوت حنون يخدر حواسك بعذوبة الاستسلام ٠٠ لن تسمع غير الموسيقى الفاجرة التي توضع للمترفين والمدللين في قصور مدينتك يعربدون آخر الليل على انغامها ٠٠ ينسفحون باستهتار مع نعيق البوق المفجوع ٠٠ يمارسون رقيهم ٠٠٠ ولن تسمع ، لو حركت الابرة الى أية جهة ، الا موجزا لآخر انباء العالم عن المجازر المنتشرة في كل مكان ٠٠ والقتل الجماعي المنظم بأحدث الاساليب وآلات الدمار ٠٠

لم يعد ثمة انسان مع الانسان ٠٠ ايها الضائع !!

قوانين العالم المتمدن صارت تسمي قتل الملايين بأبشع الطرق : انتصارات باهرة !!

انتصرت الآلة في زحفها على كل شيء ٠٠ واحتضر الانسان ٠٠ فمن تحسب نفسك حتى تحمل آلام العالم اذن ؟!

لا تهرب ايها الجبان ٠٠ حتى لو لبست ثيابك وخرجت في هذه الليلة العاصفة ٠٠٠ انت تريد ان تهرب من شيء ٠٠ من نفسك ٠٠ الى أين ؟! اين تهرب وانت لا ترى في مدينتك الا الكهوف المتراصة الاشد ظلاما ورعبا من كهوف نفسك ٠٠٠

انت تحسب انك في مسافات الناس ٠٠ يدوسون ظلك ألف مرة كل يوم ٠٠ انت في حدسهم ، على احداق عيونهم ٠٠ يمتصون شخصيتك ليحددوا حياتك فـي أطرهم الباهتة التي تتكدس الاوهام عليها ، كغبار عفن تقذفه صحراء مجهولة الحدود ٠٠

ولكنك لست شيئا من هذا ٠٠ ولست شيئا ينالونه **بسهولة ٠٠ انت مجرد سؤال معلق ، ممطوط ، كقدر** تعيس ٠٠

ماذا تريد من نفسك ٠٠٠ ماذا تريد من الاخرين ٠٠ وهل من الضروري ان تخلق الحياة ويسير الكون وفق اهوائك انت ؟!

لماذا تذهب دوما الى أبعد ، واعمق ٠٠ وتنسى نفسك ٠٠ تنسى حياتك ؟!

أترى ٠٠ الشوارع مقفرة الا من الكلاب الجائعة ، والسكارى التافهين الذين لا يتقنون شيئا الا التسكع ٠٠ والتكوم حول مائـدة واحدة في الليل ٠٠ حيث تلتقي الرؤوس المليئة بأفكارمهترئة ٠٠ ويشربون ٠٠ ويثرثرون بكلمات اكبر منهم عن الوجود ، والعدم ٠٠ والحياة ٠٠

تسكع ما شئت ٠٠ انت تكابر ٠٠ كبرياؤك التافه يلجم حياتك ، ويمنعها من الانطلاق نحو أفضل ٠٠ العالم يسير الى الامام وانت تدور حول نفسك ٠٠ البرد يشل اطرافك في هذا الليل الصقيعي ، لكنك لن تعود الى البيت لانك لا تستطيع ان تنام ٠٠ هواجسك لا تدعك تغمض عينيك ٠٠

ان ذكريات كثيرة عبرت حياتك تعوم اليوم فوق كل شيء وتنهش وعيك بنهم كلبي ٠٠ النجمة السمراء لم تترك مكانا لك الا وعبأته بحبها وذكرياتها ٠٠٠ حتى غرفتك التافهة اصبحت تراها مكانا تكدست فيه المواعيد والذكريات ٠٠٠ لو انك تحتفظ بنبل هذه الذكريات ٠٠ غيمة عطر تتهادى ٠٠ وخيال وجه ينضح حنانا أسمر ٠٠ وهدية صغيرة ، ورسالة حب منمقة ، وبعض الشرود ٠٠ وبعدها ٠٠ لو ارسلت السماء كل جحيمها لكنت وحدك ، تخلق الدفء على طريقتك الخاصة ٠٠ تفجره من اعمق اعماقك ينبوع حرارة ثر ٠٠ يقتل شيطانك المتمـرد بوحشية ٠٠ ويسحق كل تأملاتك السوداوية ٠٠

لماذا لم تعش سويا كبقية الناس لتبقى ، هي ، في حياتك غمامة من شذى ، ترشك بالسعادة ، والدفء ، والحنان ؟!

انت ملقى تحت صخرة سوداء ٠٠ تلوك الحياة تحتها ٠٠ تفتش عن كل شيء في اسفل ٠٠ تريد ان تلقى تبريرا لكل شيء ٠٠ المرأة تكره الذين يفلسفون الحياة ويعقدونها كثيرا ٠٠ لا تتعب نفسك ٠٠ كتب الفلاسفة ملقاة على رفوف المكتبات تسند بعضها بعضا ، كنسـاء الليل الساقطات في وكر يعبق بالدخان ، والثرثرة ، والفجور ٠٠

ان احدا لا يقرأ هذه الكتب ٠٠ كل انسان يعيش حياته ٠٠٠ عندما تكون الحياة موجودة ، فان تبـرير الاحداث فيها يبدو أمرا تافها في غاية السخف ، ايهـا الرجل الكئيب ٠٠ يا وحيدا معزولا عن العالم !!

لماذا جئت الى هذا المكان تماما ؟!

أترى ، أنت لا تستطيع أن تسير الا على الدروب التي سرت عليها ، معها ، يوم كان حبكما صبيا يفيض بالسعادة والهناء ٠٠

ان تدب كالكلب على اربع قوائم حتى تحصل على الشيء الذي تسعى اليه ٠٠ وما ان تلامسه اصابعك المعروقة النحيلة حتى تسحقه بوحشية شرسة ٠٠ تريد ، على نحو ما ، ان تكون بطلا ٠٠ ان تكون شيئا كالاسطورة ، ولو كان ذلك على حساب وأد نفسك ، وطمس شخصيتك ومسخ معالمك الانسانية ٠٠

انوار الخمارة ، ما زالت تنوس في الداخل ٠٠ هذا الكهف الضيق يضم المهزومين امثالك ٠٠٠ ادخل اليها ٠٠ هنا تضيع في عدم الوجوه المكفهرة ٠٠٠ هنا ، لن تجد من يطل عليك ٠٠ على عتمتك الابدية ٠٠ ولتكن لك هنا سلاسل المهزومين ، وقيمهم المحنطة ٠٠ واغرق ما شئت في حفرة مجهولة الوجود والاعماق ٠٠ تشدق بما تريد ٠٠ تاجر معهم بكل حديث عن الوطنية ، والانسانية ، والمثل العليا ٠٠ تحدث معهم عن الكرامة في مكان لا كرامة فيه ولكن لا تتحدث عن الحياة ، ايها التعس ٠٠ لانهـا ليست ملكك ٠٠ ولا ملك اقاويلهم التافهة ٠٠

اجلس على كرسي القش العتيق ٠٠ هنا زاويتك الخالدة ، منذ سنين وانت تمارس الانتحار البطيء في هذه الغبشة الصفراء ٠٠ انسان ضائع في خمارة منسية على ضفاف النهر القذر الذي يشق صلب المدينة منـذ الازل ٠٠

اطلب كأسا واشربه دفعة واحدة ٠٠ لن يجديك هذا فتيلا ٠٠ انت ميت منذ ولدت ٠٠

كأس آخر ٠٠ وما زلت ميتا ٠٠٠ انهم يقهقهون حولك ٠٠ لقد ثملوا ٠٠ فقدوا الشعور بالزمن ٠٠ ان واحدا منهم لم يعد يحسب حسابا للبدء والنهاية ٠٠ ان موتهم لا يعنيهم ٠٠ كأنه نهاية لا تمت اليهم بصلة ما ٠٠ كما ان الاستمرار لا يعنيهم ٠٠ كأن انسانا آخر يعيش حياتهم ٠٠ اجل الاستمرار ٠٠

انه اعنف مشكلة تواجه حياتك انت ٠٠ انت ترفض كل شيء حتى استمرارك تراه سبة من الحياة اليك ٠٠ بينما هم لا يقبلون شيئا ، ولا يرفضون شيئا ٠٠ انت لست منهم ٠٠ أترى ٠٠ انك لا تنتمي الى اية زمرة انسانية ٠٠ حتى هذه الحثالة المكومة هنا ٠٠ لا تستطيع ان تدعي انك واحـد منهم ٠٠ انهم يعيشون اعماقهم الخاصة ٠٠ يتذوقون صديدهم بصمت ٠٠ المهم ، ان لهم موقفا ٠٠ لم يعد في العالم ما يعذبهم ٠٠ انهم معزولون بطريقة أخرى ٠٠ مشكلتك انك لا تسكر ، لا تنس ٠٠ يظل وعيك اعمق غورا من خدر بسيط يسببه كأس أو كأسان ٠٠ مأساتك حادة ستظل فوق خمور العالم كلها ٠٠ لم تفقد وعيك مرة لتستريح ٠٠ انت تفكر اكثر من

اللازم .. ها أنت ذا تحاول مع خامس كأس .. أترى ، لم تستفد شيئا .. ما زلت واعيا تحس عمق ضياعك .. ما زلت تفكر ..

الشارع المعبأ بالبرد يتلقفك من جديد .. كل الارصفة في المدينة تعرفك .. كل الحراس يعرفون هذه الملامح الهرمة التي شاخت قبل اوانها .. الملامح الكئيبه المتطلعة دوما الى شيء ليس له ظل حقيقي على الارض .

لم تتعب بعد .. ولو تعبت لن تذهب الى البيت لتنام ... انك تقترب من بيتها شيئا فشيئا .. انت تأتي الى هنا كل ليلة تلقائيا كأن شيئا ما ، اقوى منك ، يدفعك لذلك .. ماذا تريد منها بعد ؟!

لو استطعت ان تحب كغيرك .. ان تمنح الحب شيئا من حياتك .. لو استطعت ان تتعبد في محراب عواطف نبيلة منحتها لك .. لكنت اليوم ذا قضية واضحة .. كنت انسانا واضح المعالم ، له شخصيته وابعاده .. لكنك لم تستطع ان تؤمن بالحب كقضية .. أو موقف في الحياة .. كنت مشغولا دوما عن نفسك وعنها ، بهواجسك السوداء ، وبالآخرين الذين لايعرفونك ولا يحسون وجودك .. فتركتك .. لان لها حياتها واحلامها .. ورغم ذلك ، انت لم تشعر بالندم مرة .. انت رجل لا يندم .. يكره ان يرتد الى الخلف من أجل لحظة حسرة مرتعشة على شيء لن يعود أبدا .. لكنك لا تتقدم الى الامام مطلقا .. لماذا تأتي الى هنا ايها الحائر ؟!

ماذا تحاول ان تثبت ؟! لا تقل انها الرمز الوحيد الذي تريده من جديد لتشعر انك مشدود الى العالم بجذر ما .. لتشعر ان الدفء لن يبقى مجرد حلم يراود خيالك كأنه المستحيل ... انت انسان ميت ..

لم يبق غير هذا المنعطف .. قف هنا ، واشعل سيجارة جديدة وحملق الى الشرفة بوجه جامد من حجر .. أترى .. انت لا تشعر حتى بالحنين الى رؤيتها .. انت تمارس تعذيب نفسك ، ايها السادي التعس ، انه الفضول .. تريد ان تتفرج على نفسك من خلالها هي .. هذا ليس حبا ... تريد ان تتذوق اهواءك الراحلة يوم كنت تعرفها .. هذه محاولة عقيمة لاكتشاف نفسيتك .. انها تنام .. كلهم ينامون ووحدك الذي يلعق آلام الجرح العميق .. انت لم تعد شيئا في حياتها .. كل شيء هاديء .. الهدوء يشمل المدينة ، ان احدا هنا لم يعد مستعدا لان يناقش ان كان ثمة صواب في العالم .. انت وحدك محكوم عليك ان تسقط في سراديب العالم المظلمة .. ان ترتمي عاجزا في كهوف نفسك دون ان تجد ما تتمسك به .. كل ابعاد العالم تمتد الى اعماقك وتتعرج وتتعقد فيها !!

بدأت حبات المطر تتساقط قوية على رأسك كأنها تلعنك .. عد الى بيتك قبل ان تصاب بزكام يطرحك في الفراش عدة أيام ولا تجد يدا حنونة تمد اليك ..

عد الى بيتك أيها الكئيب ، انت تشقى ، والعالم يعيش .. أي ابله أنت ؟

استدر .. وسر بخطوات اسرع .. انعطف هنا .. بدأت تسعل ، الحارس هنا يعرفك .. انه يدعوك للدخول الى كوخه لتتقي المطر .. ألا تحس جحيم الشتاء فوق رأسك .. اجلس على الكرسي الصغير الذي قدمه اليك ، وابق صامتا اذا شئت .. انه لا ينتظر منك تحية فهو يعرف امثالك الضائعين .. ان افواههم مغلقة عن كل كلمة طيبة لانهم لا يعرفون الا ان ينفجروا دوما بثورة غضب مهووس وشتائم ضخمة على كل شيء .. انت لن تغير نظام الكون بصمتك او غضبك ايها البائس .. خذ السيجارة التي قدمها اليك .. لا تعتذر .. خذها ، انه **لا يريد منك كلمة شكر** ايضا .. ولا يحتاجها .. انه سعيد ، ألا تحس آثار ذلك .. ألا تلمح خيال بسمة على وجهه المفروش بضوء باهت يرشقه مصباح كهربائي يتدلى من سقف الكوخ ؟! ألا ترى الغبطة على ملامحه وفي كل حركة من حركاته كأنه يملك العالم وحده ؟! كأنه لا يشعر انه ملقى طوال الليل في تفاهة هذا الكوخ الخشبي ، يجتر البرد والصقيع ؟!

انت تتساءل الآن ان كان لا يحس تفاهة الحياة أيضا ؟!

القضية .. انه لا يضخم مأساته مثلك .. ألا يبدو عليه ذلك ؟! جرب ان تسأله .. ان كل خلجة في وجهه تنبيء انه يود ان يشاركك الحديث .. لقد بدأ يتنحنح .. انه يحمد الله من أجل هذا المطر .. لانه سيكون عام خير وبركة .. وهو يحب رائحة الارض المشبعة بالمطر .. وغدا ستزهر شجرة الليمون الهرمة في داره ويمتلأ البيت بأريجها الطيب .. سيصنع لولده عقدا من زهورها ويضعه في عنقه .. أجل ولده .. انه يخبرك ان زوجته قد انجبت طفلا جميلا يوم أمس .. وهو سعيد لذلك كثيرا .. لقد أصبح أبا .. لقد أعطى الحياة اكثر من شيء عادي .. سيعلم ابنه .. ويربيه .. سيعلمه كيف يحب الله ، والارض ، والناس .. لكنه لم يختر لولده اسما بعد .. ألا تسمع .. انه يسألك ان تنتقي له اسما ... انه ...

لماذا هربت من الكوخ ايها الجبان ؟!

لماذا لم يعجبك حديثه ... ألأنه لا يأبه لمشقة الحصول على اللقمة طالما انه يحصل عليها في النهاية ؟!

أم انه يفضحك .. يعريك ببساطته .. يشير ، على غير قصد منه ، الى زيفك ، زيفكم انتم التافهون ،

الذين تخرجون من اوكاركم في الليل وتعلنون للناس أن النور مات ٠٠ ولم يعد ثمة ضياء في أي مكان ؟!

لماذا هربت منه ؟! ألانه يغزل خيوط سعادته بصبره ووداعته ٠٠ ويفجر فرحه من حياته البسيطة ، على طريقته ٠٠ ألأنه يؤمن بالحياة ٠٠ لا تبصق ٠٠٠ انك لا تستطيع ان تكون سعيدا ٠٠ ولا تستطيع ان تستمع الى الناس السعداء ٠٠ كل كلمة منهم تلسع وجهك بألف سوط ٠٠ انت تخاف ان تكون وحدك الشقي ٠٠ ان تكون وحدك الذي يمتص الحياة دون ان يعكسها ٠٠ دون ان يكون لعطاياها أي مردود في اعماقه !!

بدأ الفجر يتثاءب ٠٠٠ ان نهارا جديدا يوشك ان يستيقظ ويعلن عن ميلاد ما تسميه انت : مأساة جديدة !!

ستعود بعد قليل الى عملك مرهقا ، محطما ٠٠ لا لتعمل ، ولكن لتحملق بالوجوه من جديد ٠٠٠ لتنظر الى القامات كلها ، لعلك ترى وراءها شيئا خفيا ، يكون مفتاحا للغز انت نفسك لا تدري كنهه ٠٠ وسترتد نظراتك ، كعادتها ، ذليلة مكسورة ٠٠٠ وتشعر ان كل همس حولك مبحوح بحقارته ٠٠ وان العالم يمكن ان يصل الى هذه الدرجة من الغموض الاخرس !

لا فائدة منك ايها الكئيب ٠٠ انت تسمم حياتك وتقتلها ٠٠ بل انك وامثالك تفسدون على الآخرين حياتهم ، بالهواجس السوداء التي تنشرونها كالطاعون حولكم ٠

سر ما شاءت دروب مدينتك الموحلة ان تمتد ٠٠

سر فان الاسفلت الاسود لن يتعب من قدميك ٠٠ وانت لن تتعب ٠٠ لكنك لن تعاود الكرة من جديد ٠٠ لقد وصلت البيت ٠٠ ودخلته ، لا لتنام ٠٠ ولكن لتعود الى الدوران فيه ٠٠ تحملق مذهولا بأشيائك المبعثرة التي تضيع بينها ٠٠ أنت لا تستطيع ان تعيش الا هكذا! ٠٠ لم تجرب مرة كيف يشعر الانسان عندما يكون في مكان مرتب نظيف ٠٠

أي شيء ستفعله الان ، وقد بدأت الشمس الهرمة الكسولة تتسلق صفحة السماء بعناء صامت !!

غرفتك ما زالت باردة لا يستطيع حيوان ان يقف فيها ٠٠ سريرك بارد أيضا ٠٠ انت مقرور ، والعالم كتلة صقيع ٠٠ كل الجبال والوهاد يكسوها البياض القارس ٠٠ وبيدك وحدك ان تجد مكانا تنبشه بأسنانك واظافرك ٠٠ لعلك ، تحت هذا الصقيع الجامد ، تحس شيئا من تراب حار يبعث الدفء في اوصالك ٠٠٠

ولكن ، لا تبق هكذا معلقا في الخواء ٠٠ مجرد صنم أخرس ٠٠ حجر جامد باهت بدون زمان ٠٠

قف في النافذة قليلا ٠٠ سترى الوجوه نفسها ٠٠ الاشياء العادية نفسها ٠٠ ان الاشياء العظيمة لا توجد في كل مكان ٠٠٠ هنا لا شيء يتغير ٠٠٠ الناس واقفون ٠٠ والزمن يسير ٠٠ احلام الناس بحياة ارقى واروع تكثفت ، بعد ان اصبح الحلم مجرد معاناة حادة ٠٠ لا حصاد بعدها الا الهشيم ٠٠

لم يعد الانسان سيد الحياة ٠٠ البشر اليوم مخلوقات جديدة تشبه الانسان الاول ٠٠ الانسان الاصيل ٠٠ لكنها لا تملك اصالته ، وانسانيته ٠٠ كلهم يعرفون ذلك ، ومع ذلك فهم يعيشون ٠٠ لماذا لا تقبل انت ايضا كل شيء كما هو اذا كنت عاجزا عن تغيير شيء ؟!

بدأ الناس يخرجون الى اعمالهم ٠٠ انهم يدبون من جديد ٠٠ يملأون كل الشوارع والارصفة التي كانت ملكك خلال الليل ٠٠ ليسوا متطفلين ٠٠ انه عالمهم أيضا ٠٠ بل انه عالمهم وحدهم ٠٠ لا مكان لك ٠٠ انت تصلب نفسك بقسوة ايها الكئيب ٠٠ انت ترفض هذا العالم ٠٠ ورفضك هذا قادك الى الصلب ٠٠ الى الموت ٠٠ والابطال الاموات ، ايها التعيس ، لا يفيدون احدا بشيء ٠٠ حتى انفسهم ٠٠

ها هو ذا رفيقك الذي يعمل معك ٠٠ انه يلقي عليك تحية الصباح ويسألك ان كنت ذاهبا الى العمل قبل ان تتأخر ٠٠ ما زلت شاردا تنظر اليه ببلاهة وكأنك تراه لاول مرة ٠٠ كأنه مومياء محنطة في تابوت زجاجي ٠٠ انه ينتظرك على الرصيف ٠٠ اخرج اليه ٠٠

لن تقفل باب غرفتك ٠٠ لانك اضعت مفتاحها منذ مدة طويلة ولن تغسل وجهك ٠٠ فقد غسله المطر منذ ساعات عندما كنت وحدك تملأ فراغ المدينة ٠٠٠

سر قرب رفيقك على الرصيف الموحل ٠٠ لاتعرف ماذا تقول ٠٠ ليس لديك ما تقوله ٠٠ ابق مطرقا برأسك الى الارض ٠٠ انه ينظر اليك حائرا ٠٠ لو كنت تملك ذرة من بسالة لقلت له بلا مقدمات :

« انني انسان مهزوم ٠٠ لا اعرف كيف اعيش ٠٠ انسان معزول عن العالم بتفاهة أنا خلقتها ٠٠ انسان بلا واقع ٠٠ ولا جذور ٠٠ **ولا قضية** »

لكنك ستبقى جبانا ٠٠ وستظل تبرر الاحداث والحياة بمنطقك الهروب ٠٠ حتى اذا ما سألوك غدا عن سبب شحوبك ٠٠ عن الحزن المعتق في عينيك ، والتعاسة الراسية على وجهك كأن وجهك مرفأ امين لها ٠٠ستقول لهم ، بعنجهية تافهة ٠٠ ولسانك يدور في فراغ فمك يصنع مأساة جديدة بلا مبرر ٠٠

« ـ لقد نفذ الوقود لدي ليلة امس ٠٠ وانطفأت المدفأة ٠٠ بيتي بارد ٠٠ وأنا مقرور ٠٠ والعالم كتلة من صقيع ٠٠ لقد شعرت انني وحيد ٠٠ وغريب ٠٠ وأنا حزين جدا !!

ـ دمشق ٠ عادل سلوم

المعرفة واللغة ووجهة نظر الجاحظ فيهما

بقلم الدكتورة
وديعة طه النجم

ليس هدفي في هذا المقال الموجز أن أتحدث عن فلسفة المعرفة عن الجاحظ ، وطبيعتها ، وعلاقتها بالاعتزال .. الخ ، لكن القصد من هذه (المعرفة) هنا هو ما نسميه اليوم بالثقافة الشخصية . وهنا سأتحدث عن أثر هذه الثقافة في لغة الناس ، وأسلوبهم الكلامي كما يراها الجاحظ .

الجاحظ من خيرة من صور المجتمع الاسلامي في عصره ، بجميع اتجاهاته وعناصره فليس من السهل أن نتجاهل رأيه في مسألة وجه اهتمامه اليها بصورة خاصة ، وان كان ذلك بطريقته الهزلية الساخرة .

يرى الجاحظ أن المهارة في حرفة أو فن من الفنون أمر مهم ويكاد يكون لازما ، الا أنه يرى أيضا أن ذلك يجب الا يكون على حساب المعرفة الشخصية فالمعلم الذي يخلو من الابداع يكون كالنجار ، يدعى لكي يعلق بابا فاذا انتهى من عمله قيل له : (انصرف) ، على حين أن المبدع في معرفته يحتاج اليه في كل مكان وكل زمان .

ونحن نسأل : ترى أكان تأكيد الجاحظ على المعرفة بصورة خاصة ، وعلى تنوعها واتساعها ، لا سيما الذين تتصل مهنهم بالمعرفة والعلم اتصالا وثيقا كالمعلمين ، رد فعل لاتجاه معين بدأ الجاحظ يلحظه بنظره الثاقب بين أصحاب الصناعات والمهن المختلفة ، أم أننا لا نأخذ أقواله مأخذا جادا كل الجد ؟ على أننا قبل أن نبحث عن الصواب في هذا الامر ، لا بد أن نشير الى أن ظاهرة التخصص في الحرف في الحاضرة الاسلامية أصبحت في عصر الجاحظ على درجة من الرقي لا يمكن تجاهلها . وقد يكون هذا من الدواعي التي جعلت الجاحظ يؤكر على الاتساع في ثم المعرفة ، وعدم الاقتصار على اختصاص معين فيها .

بقي أن نرى الى أي مدى تدخلت ظاهرة التخصص هذه في ثقافة الافراد في لغتهم واسلوبهم الكلامي او الكتابي فعلا ؟

الجاحظ نفسه يجيب عن بعض ما نسأل . فقد كتب رسالة سماها « في صناعات القواد » وجهها الى المعتصم ينصحه فيها بتأديب أولاده ، وهو يرتأي في هذه الرسالة ان الخليفة يجب أن يؤدب أوذده بكل أدب « فانك ان أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه »(١)

ومن ثم يتمادى الجاحظ في تأييد وجهة نظره ويمعن في الوصف والتوليد في أصناف من الكلام الذي يبدعه خاطره لكي يحسن للخليفة ما يراه ، ولكي يقبح في عينه أن من يضيق ادراكه ضمن حدود حرفته لا تخرج لغته نفسها عن تلك الحدود ، حتى ليصبح عاجزا عن التعبير بلغة الحرفة نفسها . فيأتي الجاحظ بأحد عشر مثالا لجماعة من أصحاب الحرف الذين أدخلت حرفتهم الضيم على لغتهم ، ويصورهم وكأنه بهم فسألهم عن معركة دارت في بلاد الروم بعد أن قدم المعتصم منها ، فيصفها كل واحد بأسلوبه ـ المتأثر بصنعته ـ ثم يأتي بأبيات غزلية . والجاحظ يتعمد أن يذكر كل شخص مع ذكر حرفته أو مهنته فنفهم من ذلك أن قصده هو التأكيد على سوء أثر الحرفة في أساليبهم جميعا . وقد كانوا بين :

حزام وطبيب وخياط وزراع ومؤدب ، وصاحب حمام وكناس ، وخمار وطباخ وفراش وخباز .

قال الجاحظ على لسان (الحزام) في وصف المعركة :

« لقيناهم في مقدار صحن الاصطبل فما كان الا بمقدار ما يحش الرجل دابته حتى تركناهم في أضيق من ممرغة ، فقتلناهم وجعلناهم كأنهم أنابير سرجين فلو

---

(١) رسائل الجاحظ ، ط . السندوبي سنو ١٩٣٣ ، ص ٢٦١ .

طرحت روثة ما سقطت ألا على ذنب دابة » وعمل ابياتا في الغزل فكانت .

« ان يهدم الصبر من جسمي معالفه
فان قلبي بقت الوجـد معمـور
اني امـرؤ في وثاق الحب يكبحـه
لجـام هجر على الاسقام معـذور »

الى ان يقول :

« لبست برقع هجر بعـد ذلك في
اصطبل حب فروث الحب منثور »[٢]

ويصف الجاحظ المعركة على لسان كل واحد من اصحاب الصناعات هؤلاء فيقول على لسان الطبيب ويسميه (بختيشوع) :

« لقيناهم في مقدار صحن البيمارستان فما كان الا بمقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم في أضيق من محقنة ، فقتلناهم . فلو طرحت مبضعا ماسقط الا على اكحل رجل » . وعمل في الغزل فكانت :

شرب الحب دستج الهجـر فاستطـ
ـلق بطن الوصـال بالاسهـال
« ورمـاني حبي بقـولنج بـين
مـذهل عـن ملامـة العـذال

... الخ »

والجاحظ وان كان يبالغ في تجسيد هذا الخطر المداهم الذي بدأ التخصيص في الحرفة يهدد به الابداع في التفكير من جهة ، ثم اللغة من جهة ثانية الا أننا ندرك بداهة ما قصد اليه الجاحظ من توجيه نظرنا الى هـذه الظاهرة . والامر وان بدا ساخرا ومسليا في رسالته هذه ، الا أن الجاحظ يلح في اكثر من مجال على هذه الظاهرة ويورد لنا الامثلة في غير واحد من كتبه حول هذا الامر . يقول في (البيان والتبيين) مثلا :

« وقلت لملاح لي وذلك بعد العصر في رمضان : انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها مـن الارض ؟ قال : اكثر من مردين ونصف » [٣] .

ويقول في الملاحين ايضا :

« وقال آخر : وقع علينا اللصوص ، فأول رجل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المردي وكانت فخذه اغلظ من هذا السكان ، واسود وجه صاحب السفينة حتى صار اشد سوادا من هذا القير .. »[٤] .

والجاحظ يأتي بأمثلة كثيرة من هـذا القبيل في اكثر من مناسبة .

لكن الطريف أنه بعد أكثر من قرن من الزمان نجد الثعالبي (أبا منصور) ينهج النهج ذاته ويسير على الخط نفسه حين يحدثنا عن أصحاب الحرف والصناعات ، ويفرد لكل جماعة من أصحاب الحرف بابا من كتابه (خاص الخاص) وهو يعي انه يجري في ذلك مجرى الجاحظ نفسه[٥] . ومن ثم ينتقل الثعالبي الى الحديث عن لغة أصحاب الصناعات هؤلاء ، فينسب اليهم أوصاف امور معينة ينقلها كل بأسلوبه الخاص الذي يظهر فيه سوء أثر مهنته . قال الثعالبي :

« حدثنا أبو محمد المعلى بن احمد الكردي ... قال : اجتمع في محلة ناكل وهي محلة الاكراد فيما بين الشامات ورستاق بست ، صائغ وكردي ومعلم ومتفقه يدعي العشق وديلمي صاحب تشبيب ، فأصحروا عشية يتماشون ويتحادثون وطلع البدر لتمه فاستحسنوه ، وقالوا لابد لنا من تشبيهه ، فلنشبهه كل واحد منا بما يحضره . فبدأ الصائغ وقال : كأنه سبيكة خرجت من البوتقة . وقـال الكردي كأنه حين خرج من القالب (؟) ، وقال المتفقه العاشق : كأنه وجه المعشوق طلع على العاشق ، وقـال المعلم : كأنه رغيف حوارى خبز في دار غني واسـع الرحل ، وقال الديلمي : كأنه ترس ذهب يحمل بـين يدي ملك »[٦] .

ويستمر الثعالبي بروايات من هذا النوع ، وينقل عن الجاحظ ما قاله في اصحاب الصناعات باختصـار ، وبدون أن يذكر مصدرها [٧] .

ان نظرة الجاحظ في هذا الموضوع لها أهميتها في

---

(٢) ن . م ص ٢٦١ .

(٣)، (٤) البيان . (ط . السندوبي) ج ٢ ص ١٣٥
(٥) الثعالبي : خاص الخاص (سنة ١٩٠٨) ص ٥
(٦) ن . م ص ٥١
(٧) ن . م . ص ٦١

مسألة مهمة ، وهي مسألة البيان ، وبماذا يتحدث المتحدث الى طبقات الناس المختلفة . فالجاحظ يؤكد على أن لغة العامة هي غير لغة المتكلمين ولا ينبغي للمتكلم اذا تحدث مخاطبا العامة ان يضطر الى استعمال ألفاظ المتكلمين ، التي هي الفاظ اختصاص وعمل ، والكلام علم كبقية العلوم والنحو والصرف ، وكما « سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماءا وجعلوها علامات للتفاهم »[8] .

ويقبح بالمتكلم أن يستعمل ألفاظ الصناعة في غير بابها . والجاحظ يأتي بأمثلة فيها السخرية والفكاهة عن افراد ادخلوا الفاظا كالعرض والجوهر في لغة الحديث اليومية فجاءت مضحكة غريبة في مكانها . وربما أتى بها المتكلم لجعل كلامه يتحدث عن الجاحظ في (البخلاء) اذ قال واصفا أحد البخلاء .

« وأتانا بأرزه ولو شاء انسان أن يعد حبها لعده لتفرقه ولقلته ، قال فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة فوقعت ليلتئذ في فمي قطعة . وكنت الى جنبه فسمع صوتها حين مضغتها ، فضرب يده على جنبي ثم قال : اجرش يا أبا كعب ، اجرش . قلت : ويلك أما تتقي الله كيف اجرش جزءا لا يتجزأ »[9] .

وبمناسبة ذكر « الجزء الذي لايتجزأ » ذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) عن مرور سمع قول المتكلمين بالجزء الذي لا يتجزأ فكبر في عينه فسئل عن ذلك ما هو ؟. قال :

« الجزء الذي لا يتجزأ هو علي بن أبي طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد (أفليس في الارض جزء لا يتجزأ غيره ؟) . قال : بلى ، حمزة جزء لا يتجزأ ... قال : فما القول في ابي بكر وعمر : قال : ابو بكر يتجزأ ، وعمر يتجزأ . قال : فما تقول في عثمان ؟. قال : يتجزأ مرتين .. »[10] .

ويعلق الجاحظ على ذلك قائلا :

« فقد فكرنا في تأويل ابي لقمان حين جعل الامام جزءا لا يتجزأ الى شيء ذهب ، فلم نقع عليه الى ان يكون كان أبو لقمان اذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ هاله ذلك وكبر في صدره ، وتوهم انه الباب الاكبر من علم الفلسفة ، وان عظم خطره سموه بالجزء الذي لا يتجزأ »[11] .

والجاحظ وان أورد هذه الرواية في موضع النادرة الا انه يعلق على هذا الامر أهمية كبيرة حين يردف قوله المتقدم بقولته المشهورة :

« ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف والجزل للجزل .. »

وكذلك قوله في موضع آخر :

« ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم الا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة »[12] .

وندرك أن الجاحظ على جانب كبير من الواقعية . في تصوير هذه الناحية من تأثير المعرفة والاختصاص على مدارك الناس ولغتهم ، وذلك حين نقرأ في كتب الادب تلك النوادر التي ربما اختلقت اختلاقا في كثير من الاحيان ، الا أن لها دلالتها على شيء من الواقع ، وأعني بذلك ما روي من النوادر عن النحويين وكانوا يعانونه بين عامة الناس ، الذين لم ترق لهم لغتهم الفصيحة فسخروا منهم ، وذلك للاختلاف البين بين لغة العامة ، ولا سيما أصحاب الحرب ، ولغة الخاصة ، سواء أكانوا متكلمين ، أم نحويين أم سواهم . قيل عن الكسائي انه قال :

« خلقت الا اكلم عاميا الا بما يوافقه ويشبه كلامه. وقفت على نجار فقلت : بكم هذان البابان . فقال : بسلحتان يا مصقعان . فحلفت الا اكلم عاميا الا بما يصلح »[13] .

(٨) البيان . (ط . السندوبي) ج ١ ص ١٠٧
(٩) البخلاء (١٩٥٥) ص ١٢٨

(١٠) ، (١١) (ط . عبد السلام هراون) ج ٢ ص ٣٧ ــ ٣٨
(١٢) الحيوان : ج ٢ ص ٣٦٨ ــ ٦٩
(١٣) ابن الجوزي : اخبار الظراف (سنو ١٩٢٨) ص ٧٧ .

نهاية بجماليون

تنوير — مسرحية ★

بقلم الدكتور محمد الحاج حسين

بجماليون : غلاطيا . يا معبودتي الساحرة .

غلاطيا : نعم يا بجماليون .

بجماليون : أحس بنذير العاصفة تهب حولي ..

غلاطيا : وأية عاصفة يا حبيبي ؟.

بجماليون : أمور غامضة أحسها ولا أستطيع التعبير عنها

غلاطيا : هكذا الفنان دوما في صراع عنيف مع نفسه .

بجماليون : هنالك أشياء غير الفن .

غلاطيا : وما هي ؟.

بجماليون : بي رغبة غامضة لهجر هذه الجزيرة .

غلاطيا : وهل في الدنيا أجمل منها ؟

بجماليون : لقد بدأت أكرهها ..

غلاطيا : وهل يكره الانسان الارض التي حنت عليه ، وغذته بجمالها ، وأطعمته خيراتها .. ودرج في ربوعها مستمتعا بحياته .. ان الوطن خفقة القلب .. ومنية الروح .

بجماليون : واحسرتاه يا غلاطيا ..

غلاطيا : على ماذا ؟.

بجماليون : لولاك لآثرت الموت منذ أمد بعيد ..

غلاطيا : لا أحب نغمة اليأس تتردد في كلماتك .

بجماليون : اليأس راحة للنفس المعذبة .

غلاطيا : انني أحب الحياة لانني أحبك .. والحب طريق السعادة .

بجماليون : عبادتي لك يا غلاطيا دفعتني الى الشمول في الحب ، فأنا أحب الدنيا كلها .. أهوى ماءها وشجرها وجبالها ومغانيها وحيوانها وانسانها .. وكل شيء فيها يثير في نفسي أجمل الذكريات ، انني أجثو أمام هيكل العالم متبتلا في محرابه الاسنى ، وفي قلبي جمرة من الحب لا يخمد لها أوار .. تباركت الالهة التي أبدعت هذه الدنيا العظيمة .

غلاطيا : ما أجمل هذا الحب الشامل ..

بجماليون : ما أشد يأسي .. لاضطراري الى هجرة وطني ..

غلاطيا : أنت تهجر وطنك ..

بجماليون : ستظل هذه المغاني حية في نفسي حتى يغمض الردى جفوني .. سأتمزق لفراقها ..

غلاطيا : بجماليون .

بجماليون : نعم يا حبيبتي .

غلاطيا : ان ذهنك مشوش اليوم .. انت تحب هذا الوطن .. فكيف تفكر بهجرانه ؟ ما هذا التناقض .؟

بجماليون : بسبب سكانه .

غلاطيا : وما ذنبهم ؟.

بجماليون : لقد حطموني بمنكراتهم ..

غلاطيا : انهم طيبون .

بجماليون : أنت لا تعرفينهم على حقيقتهم .. ان قلبك الطيب مرآة صافية لا تنعكس فيه سوى الطيبة والرقة والوداعة .

غلاطيا : أراهم يحبونك ، ويتهافتون على رضاك .. ماذا تريد أكثر من هذا ؟

بجماليون : رياء .

غلاطيا : وكيف أدركت هذا ؟

بجماليون : انهم يتكلفون الحب لي عندما يرونني .. ولكنني عندما أدير ظهري لهم يأتمرون بي ..

غلاطيا : وماذا فعلت لهم ليضمروا لك العداء ؟

بجماليون : كل خير .

غلاطيا : الخير يجب أن يقابل بالخير .

بجماليون : هذا صحيح اذا كان الناس يتمتعون بالطيبة التي تتجسد فيك .

غلاطيا : أعتقد أنك مخطيء في تصوراتك عنهم .

بجماليون : لا ياحبيبتي .. منذ عشرين سنة ، وأنا في عذاب مرير معهم .. والحرب بيننا لا يخمد لهبها حتى تتجدد .

غلاطيا : والسبب ؟

بجماليون : الطبيعة البشرية ..

غلاطيا : ما لها الطبيعة البشرية ؟

بجماليون : فاسدة ..

غلاطيا : الطبيعة البشرية غير فاسدة .

بجماليون : كم كنت أتمنى هذا .

غلاطيا : لا أحب هذه النغمة المتشائمة ..

بجماليون : الشر متأصل في الناس .. والآلهة على جلال قدرها لا تستطيع ان تمحقه .

غلاطيا : بجماليون . وهل أنا شريرة مثلهم ؟

بجماليون : أنت الخير المحض ، والجمال المطلق ، والحق الصراح .

غلاطيا : كيف ؟ ألست من البشر ؟

بجماليون : يستحيل أن ينبض قلبك بنازعة للشر .

غلاطيا : هل تجاملني ؟ .

بجماليون : أنت خلاصة الحب ، وغذية الابداع ، وربيبة الفن ، وبنت الخيال ..

معجزة جاءت بها الالهة ، ولن تتكرر ثانية .

غلاطيا : كلامك غامض يا بجماليون .

بجماليون : الغموض نصف الفن .

غلاطيا : وما علاقتي بالفن ؟

بجماليون : أنت ثمرته الناضجة .

غلاطيا : وفي قلبي حزن لا ينتهي ..

بجماليون : لماذا هذا الحزن يا حبيبتي الملهمة ؟

غلاطيا : بسبب النقص الذي أحسه ..

بجماليون : وأين هذا النقص ؟ ..

غلاطيا : أنا أجهل الماضي ..

بجماليون : يكفيك الحاضر ... انه المتعة الخالدة التي يجب أن يرتوي منها الانسان .

غلاطيا : بي حنين الى الماضي البعيد .

بجماليون : المستقبل اجمل من الماضي ..

غلاطيا : انني أجهل كل شيء عن أصلي ..

بجماليون : أصلك مغروس في أعماقي .

غلاطيا : جميع الوصيفات في القصر يتحدثن عن أهلهن ...

بجماليون : خير للانسان أن يكون عديم الاقرباء .

غلاطيا : واحسرتاه ..

بجماليون : على ماذا تتحسرين ؟

غلاطيا : على أهلي .

بجماليون : أنا أهلك .

غلاطيا : أنت زوجي الحبيب .

بجماليون : الزوج الصالح يغني عن الاهل .

غلاطيا : كيف أتيت الى هذه الدنيا ؟ أين طفولتي ؟. كيف نشأت ؟. وأمي وأبي .. واخوتي .. ولداتي .. لا أذكر من هذا شيئا .

بجماليون : ومن يهمك من كل هذا مادمت بقربك أبثك حبي ..

غلاطيا : سلط أشعة الحقيقة على مولدي لتهدأ نفسي .

بجماليون : أنت الكمال الفني المطلق •

غلاطيا : كلامك يزيدني أسى •

بجماليون : يا معبودتي • ليفرغ روعك •• أنت أسمى عنصر في هذه الدنيا •

غلاطيا : أي بطن حبل لي ؟ وأي ثدي أرضعني ؟

بجماليون : الفن أبوك وأمك •

غلاطيا : أضرع اليك أن تنير طريقي •

بجماليون : ما دمت تصرين (بعد هنيهات) أنا الذي خلقتك •

غلاطيا : أنت اله ؟•

بجماليون : لا ••

غلاطيا : كيف خلقتني اذن ؟

بجماليون : الفنان خالق صغير ••

غلاطيا : وهل أنت فنان ؟

بجماليون : نعم يا معبودتي •

غلاطيا : وهل تخلق الناس ؟•

بجماليون : لا يا غلاطيا •• ولكنني أخلق الحب والابداع في هذا العالم المريض •

غلاطيا : وضح لي يا بجماليون •

بجماليون : ما دمت ترغبين (يسكت قليلا ، ثم يتابع) هل أنت مصغية لي ؟

غلاطيا : كل الاصغاء •

بجماليون : كنت أشد الناس بؤسا في هذه الجزيرة قبل أن أخلقك ••

غلاطيا : أشد الناس بؤسا ، وأنت الحاكم المطلق عليها •

بجماليون : حاولت أن أنقذ جزيرتي الحبيبة من الشر الذي يحدق بها •• وأردت أن أنثر بذور الخير لتزكو في كل مكان ، ولكن قوى الشر زرعت في طريقي المصاعب ، وصمدت لها بقوة ، بيد أنها كانت أقوى مني ، فانكفأت على نفسي حزينا تاعسا •

غلاطيا : لقد تعذبت يا حبيبي •• ليتني كنت معك •

بجماليون : لو كنت معي لما نالني هذا العذاب •

غلاطيا : عجيب ألا يؤازرك الناس ، وأنت تعمل لاسعادهم ؟•

بجماليون : كانت مؤازرتهم عظيمة ، فأتمروا بي ، وسددوا الي طعناتهم النافذة حتى أدموني •

غلاطيا : غلف القلوب •

بجماليون : أرددت أن أحقق العدل في جزيرتي •• وحاولت أن أنصف الجميع ، وأجعل الحياة في توازن جميل بحيث لا يطغى أحد على الاخر ، فثار بي الكهنة لانهم اعتادوا على خداع الساذجين ، وعملت على الحد من جشع التجار ، فتواثبوا علي من كل حدب وصوب ، وأيقن الجميع انني محارب للآلهة ، وأتوا الى هذا القصر يطالبون برأسي •

غلاطيا : عجيب •

بجماليون : وأردت أن أرفع منارة للفضيلة ، فمنعت الفجور والخمور ، وكانت ثورة في كل مكان ••

غلاطيا : لم يفهموك •

بجماليون : وطما الشر عندما أردت القضاء على الجنود الذين لا يعملون شيئا سوى تقتيل الناس ، فهاجوا وماجوا ، ولولا أنني سليل الالهة لفتكوا بي •

غلاطيا : حقا •• انها آلام لا تطاق يا حبيبي •

بجماليون : وفي هذه الزحمة من الالام كنت تعيشين فكرة في رأسي يا غلاطيا •

غلاطيا : أنا ؟

بجماليون : كنت أفزع الى مصنعي لأعكف على تماثيلي أحقق ذاتيتي في الفن ، وأخلق من الصخر أوهامي ، وأجسد فيه

أفكاري ، وكانت لذتي لا تعادلها لذة ، وأنا أرى الصخر يتحول الى تمثال تكاد تنطق به الحياة •

غلاطيا : لم أرك تنحت تمثالا ••

بجماليون : لانني انتهيت •

غلاطيا : كيف انتهيت ؟

بجماليون : بلغت الكمال الفني ، وحققت هدفي ، وعندها حطمت تماثيلي ، وعشت كسائر الناس •

غلاطيا : هل التماثيل الموجودة هنا من صنعك ؟

بجماليون : ألم أقل لك أنني حطمت جميع تماثيلي ؟•

غلاطيا : لماذا ؟

بجماليون : لانني كنت أضن أن يراها الناس •

غلاطيا : وماذا لو رأوها ؟

بجماليون : سيلعونها لانهم لن يستطيعوا أن يفهموها •• ولهذا كنت أكتفي بتأملها وحدي في صمت وخشوع •

غلاطيا : كم أتوق الى رؤية تمثال من صنعك ؟

بجماليون : تستطيعين أن تريه الان •• وستجدين أنه أروع أنه يمكن للفنان أن يحققها

غلاطيا : (بلهفة) أرجوك •• دلني عليه •

بجماليون : انظري الى هذه المرآة •

غلاطيا : لم أر سوى صورتي •

بجماليون : وكيف ترينها ؟

غلاطيا : المهم رأيك •

بجماليون : انها أروع صورة لامرأة خلقت في هذه الدنيا •

غلاطيا : كلام جميل •

بجماليون : واجتمع فيها الجمال المطلق مع السمو الروحي •

غلاطيا : تعطيني أكثر مما أستحق •

بجماليون : وتجسدت فيها المثل العليا التي برأتها الالهة ليهتدي الناس بها •

غلاطيا : وهل أستحق كل هذا ؟

بجماليون : اللغة عاجزة عن التعبير عن خصائفك الممتازة •

غلاطيا : الحب يدفعك الى هذا القول ••

بجماليون : وهل في الدنيا عاطفة أصدق من الحب ؟

غلاطيا : بعدنا عن الموضوع ••

بجماليون : وأي موضوع ؟•

غلاطيا : التمثال •

بجماليون : وما شأنه ؟

غلاطيا : وأين التمثال ؟

بجماليون : في ذهني •

غلاطيا : أوضح لي يا بجماليون •

بجماليون : عاش فكرة في رأسي ، وخفقة في قلبي ، وومضة في روحي ، ثم حقيقة •

غلاطيا : كم أنا مشوقة الى رؤيته ؟

بجماليون : انك ترينه في كل لحظة •

طلاطيا : أين هو ؟

بجماليون : أنت يا معبودتي •

غلاطيا : أنا التمثال ؟ •

بجماليون : أنت الاصل والصورة •

غلاطيا : تبدو في غير حالتك الطبيعية يابجماليون

بجماليون : في زحمة الالام كانت تتناوشني وجدت العزاء في العكوف على ابداع تماثيلي •• ولكنها لم تسبغ علي الراحة وزادت من قلقي ، ورأيتها حبالا من نار تشد على خناقي ، وسعيت اليها ، وحطمتها بقسوة لانها لم تحقق حلمي في الابداع الفني •• ووجدتني في ذهول شديد ، واهتاجت عواطفي ، ونزف قلبي الدموع ، عندما رأيت أشلاءها مبعثرة أمامي ، وشيعتها ،

والغصات تلاحقني ، وأويت الى حجرتي محزون القلب ، ولم يغمض لي جفن ، وفكرت بالموت لاتخلص من أوصالي العارمة •• وتفاقم ألمي حتى بقيت عشرة أيام في جنون ••

غلاطيا : مسكين يا بجماليون الحبيب •

بجماليون : وأخيرا تسلل العزاء الى قلبي المصوح عندما استقر في ذهني أنني فنان ناضب المعين ، فاعتزمت التخلي عن الفن ، لانني نشدت الكمال الفني ، ولم أبلغه ، ورغبت أن أعيش كما يعيش سائر الناس بهمومهم الحقيرة ، وآمالهم الصغيرة •• وصممت على الاستقرار وبحثت عن الزوجة الصالحة لأفيء اليها ، لتنجب لي ذرية صالحة أجد عندها الطمأنينة •

غلاطيا : ولهذا تزوجتني •

بجماليون : لقد تعذبت كثيرا ومزقتني اللوعة عندما لم أجد الزوجة التي تتوق اليها جوارحي •

غلاطيا : نساء الجزيرة الجميلات كثيرات •

بجماليون : ولكنهن تافهات محدودات الفكر ، ناضبات العواطف • وكان هدفي امرأة تجسد جمال الجسد ، وجمال الروح ••والنساء في جزيرتنا منصرفات الى الفجور ، فكانت رائحتهن النتنة تفعم نفسي بالتقزز •

غلاطيا : وكيف اهتديت الي ووجدتني ؟

بجماليون : يجب أن تظلي لغزا غامضا •

غلاطيا : الغموض يقتلني •

بجماليون : لم أعثر على نصفي الضائع ، فتوجهت الى الالهة لترسل الى الزوجة الودود التي تتوق اليها جوارحي ، ولكن الالهة ازورت عني ، وتركتني في غمرة أحزاني ، ووحدتي القاتلة • وتضرعت اليها لتنقذني ، وصرخت من فؤاد كليم : خذوا الجزيرة ، وامنحوني المرأة التي تنعش فني ، خذوا فني ، واعطوني الزوجة الوفية التي تمسح بيدها الطاهرة هذه الجراحات التي تدميني •• ووجدت أخيرا في فني المعاذ والملاذ من آلامي ، وانغمست فيه ، فأفاء علي نشوة روحية أخمدت نيران القلق في روحي •• وعكفت على ابداع تمثال سكبت فيه عصارة فني ، وخلاصة روحي ، وكل آمالي ، ورسمت في خطوطه المتناسقة مثلي الاعلى في الحب والجمال والسمو ، ولما فرغت منه أصابني الذهول •• أمن المعقول أن أستطيع ابداع مثل هذا التمثال الذي لا ينقصه سوى الروح ليدب فتاة كلها جمال وسحر •• وتراءى أمامي في جلوة ساحرة ، خطوطه متناسقة في ابداع أخاذ •• لقد كان خلاصة عبقريتي ، ومجلى ابداعي ، ووصلت الى الكمال الفني الذي كنت أنشده وارتاحت أعصابي المتوترة ، وقرت روحي القلقة في طمأنينة عذبة ، وغمرتني سعادة لا يعرفها الا كل فنان استطاع أن يتوفر له الابداع في مخلوقاته •• وسجدت للآلهة شكرا على هذه المساعدة التي أتاحت لي تحقيق ذاتيتي •

غلاطيا : وأين هذا التمثال الرائع ؟

بجماليون : وعكفت على عبادته •• وكنت أخلو اليه عندما يغمض الكرى جفون الناس ، وأجثوا أمامه كأنني في حضرة

الآلهة ، أغمره بقلبي ، وأذرف دموعي التي أنزفها من قلبي .. وذهلت عن كل شيء سوى عبادة هذا التمثال الذي جسد أحلامي في المرأة الخالدة

غلاطيا : هل كان تمثال الهة الجمال ؟

بجماليون : كان تمثالا لفتاة تجمعت فيها كل أحلامي وأماني .

غلاطيا : كم أتوق الى رؤيته ..

بجماليون : وانتهى بي الامر الى عبادة هذا التمثال .. لقد رأيت فيه كل آلامي وآمالي .

غلاطيا : كيف تتنكر لعبادة الالهة ؟

بجماليون : وما حيلتي .. وجماله يثيرني ، ويترعني بالنشاوى .. وخيل الي ذات ليلة أنه يوشك أن تدب فيه الحياة وينطق بالكلام ، فتراميت عليه أقبله .. وأنشق أرجه .. وتوسلت اليه أن يتكلم ..

غلاطيا : بدأت أحس بالغيرة من هذا التمثال .

بجماليون : ودخلت المعبد ذات ليلة ، وجثوت أمام الالهة ، وشكوت لها مرارتي ، وفراغ روحي .. كان قلبي صافيا نقيا وايماني مستفيضا .. ورحمتني الالهة ، وقد رأيت صدق احساسي وتردد في مسمعي صوت من المعبد ... بجماليون .. ستتحقق أمنيتك .. وفاضت بي راحة عذبة ، وسري عني .. وهرعت الى تمثالي أتعبد تحت قدميه ، ورنا الي بعينيه الضاحكتين وفجأة خيل الي أنه يتحرك ، ووقف شعر رأسي ، وألمت بي رعدة قاتلة ، وازدحمت بي الوساوس ، وانجابت الغشاوة عن عيني ، وأضاء نور غريب بين جنباتي .. ورأيتني بحركة لاشعورية أضرع الى الالهة أن تجعل الروح تدب في تمثالي الحبيب .. ولذهولي تحرك التمثال أمام ناظري ، وأرسل ابتسامة وديعة أشرقت على ثغره كشعة من نور ، وهبط من قاعدته ، ومشى صوبي ، وطوقني بذراعيه ، وضمني الى صدره .. وفتحت عيني على أجمل كائن حلم به البشر .. وتجرأت ، فدنوت منه حتى كدت أذوب فيه ، وأرحت رأسي على كتفيه ، وغرقت في نشيج مرير .. عبر عن سعادتي العظيمة .

غلاطيا : هل حدث هذا لك في الحلم ؟

بجماليون : الحقيقة أجمل من الحلم .

غلاطيا : تعني أن هذه المعجزة حدثت فعلا .

بجماليون : حدثت فعلا .

غلاطيا : شيء لا يصدقه العقل .

بجماليون : الحقيقة لا تحتاج الى تعليل ومناقشة .

غلاطيا : وماذا بعد ؟

بجماليون : ماذا تعنين ؟

غلاطيا : ماذا حدث للتمثال بعد أن دبت الروح فيه .

بجماليون : حقق سعادتي .

غلاطيا : وأين هو ؟

بجماليون : يا حبيبتي غلاطيا .. ألم تفهمي بعد ؟

غلاطيا : لا ..

بجماليون : التمثال أنت .. يا حبيبة الروح .

غلاطيا : أنا ؟..

بجماليون : أجل يا معبودتي .

غلاطيا : أيتها الالهة .. وهل هذا معقول (بعد هنيهة) .. ولهذا لم أعرف لي أسرة كسائر الناس ..

بجماليون : أنت ربيبة الفن ، ومجلى الابداع ، وأسطورة الخلق الفني ، استطاع الفن أن يبدعك في أروع تكوين .. ومن المستحيل أن تبدع الالهة في مثل

جمـالك ورقتك ونداوتك .. فأنت عنوان الفضيلة الساميـة التي يتطلع اليها البشر .

غلاطيا : وتزوجتني بعد هذا ؟.

بجماليون : تزوجتك يا معبودتي ، فأسبغت علـى الهناء ، وأنقذتني من قلقي وتمزقي ، وأشعرتيني بجمال الوجود ، وروعة الطبيعة .. لقد حاولت أن أجعل حياة الناس أفضل مما هي ، فتنكروا لي ، وحاولوا أن يعصفوا بي ، لانني جعلت الحقيقـة هـدفي في عملي وحكمي ، ولكن الالهة لم تتركني ، فوهبتك لي ورنوة من عينيك الساحرتين كفيلتان باذابة همومي مهما كانت .. ان الحياة أصبحت حلوة ذات معنى بعد ان تحقق أملي بوجودك بقـربي أنهـل منك الحب ، وأحترق على لهبك القدسي .

غلاطيا : بجماليون .. يكاد عقلي يطير .. هل أنا في حلم ؟. لقد أبهمت علي الامور ، واختلطت حتى أصبحت لا أعي منهـا شيئا .

بجماليون : المهم أن تكوني سعيدة بقربي كمـا أنا بك سعيد .

غلاطيا : وا أسفاه يا بجماليون ..

بجماليون : على ماذا تتحسرين يا منية النفس ؟

غلاطيا : وددت لو كنت أجمل ألف مرة ممـا أنا عليه لأكون جديرة بك ياخالقي .

بجماليون : أنت الجمال المطلق ، والسمو الروحي الفذ .. وفيك تجمعت قدرة الفن ، مع قدرة الالهة ، فكنت النموذج الحي لابداع الفن والالهة .

غلاطيا : وكنت أود أن تـكون فضائلي أسمى مما هي عليه الان ألف مـرة لانال رضاك .

بجماليون : لو وزعنا جزءا من فضائلك على نساء العالم .. لازهرت الدنيا بالخير .

غلاطيا : أنت سعيد معي يا بجماليون ؟..

بجماليون : أكثر من السعادة .

غلاطيا : انني خائفة .

بجماليون : ولم هذا الخوف ؟

غلاطيا : أخاف أن يفتر حبك العظيم لي .

بجماليون : انه يتجدد في كل لحظة .. وفي سبيل هـذا الحب سأضحي بجزيرتي ، وسأجوب معك البحار حتى نجـد جزيرة مهجورة نأوي اليها لانعم كل دقيقة بحبك ، وحتى لا يشغلني عنك شاغل مهما كان أمره

غلاطيا : ولمن تترك جزيرتك ؟.

بجماليون : أنت جزيرتي ..

غلاطيا : الى هذا الحد تحبني ..

بجماليون : ليس لحبي حدود ..

(تسمع ضجة عنيفة خارج القصر .. ويخف رئيس الحرس وفي عينيه قلق ولهفة)

رئيس الحرس : سيدي .. الشعب هائج .

بجماليون : ماذا يريد الشعب ؟

رئيس الحرس : انهم مسلحون يحطمون أبواب القصر، وعـلى رأسهم الكهنـة يصرخون انك كفرت بآلهتنا ، وعبدت تمثالا .

بجماليون : أردت لهم الخير ، فأرادوا لي الشر .

غلاطيا : اذا كنت أنا السبب ، فأستطيع أن أهجر هذه الجزيرة وأتوارى الى الابد .

بجماليون : يا حبيبتي لست السبب .. اتخـذوك ذريعة ليعصفوا بي .

غلاطيا : وماذا فعلت لهم بحق الالهة ؟

بجماليون : أردت أن أنشر العدل بين ربوعهم ..

رئيس الحرس : هل نقاومهم يا سيدي ؟

بجماليون : لا أريد أن تراق قطرة دم بريئة .

رئيس الحرس : حقدهم يدفعهم الى تحطيم كل شيء .

بجماليون : انهم أحرار .

رئيس الحرس : حياتنا مهددة بالخطر ..

بجماليون : خير لنا أن تكون حياتنا مهددة بالخطر ، على أن نصون حياتهم .

رئيس الحرس : لو عرفوك يا سيدي على حقيقتك لعبدوك .

بجماليون : حقيقتي ملك لي .

غلاطيا : ولي أيضا .

رئيس الحرس : يطالبون بأمر عسير المنال .

بجماليون : ماذا يريدون .

رئيس الحرس : رأس سيدتي غلاطيا .

بجماليون : رأس غلاطيا ملك لي

(تزداد الضجة ، ويسمع تحطيم الابواب)

رئيس الحرس : ان الابواب الخارجية تتحطم تحت ضربات حقدهم المستعر .. وسيكونون هنا بعد قليل .. ولن يتورعوا عن الفتك بنا .

بجماليون : لا أكافح الشر بالشر .

رئيس الحرس : الشر لا يقتله الا الشر .

بجماليون : وما ميزتي عليهم اذا قاومت الشر بالشر ؟

رئيس الحرس : الحياة جميلة ، وحرام أن نفقدها ..

بجماليون : هل ظلمتهم يا رئيس الحرس ؟

رئيس الحرس : لم تعرف هذه الجزيرة في تاريخها الطويل حاكما امتاز بحاسة العدل مثلك ..

بجماليون : لتسامحهم الالهة ..

غلاطيا : يا رئيس الحرس .

رئيس الحرس : سيدتي ..

غلاطيا : سنترك هذه الجزيرة الى أهلها .

رئيس الحرس : الى أين يا سيدتي ؟.

غلاطيا : أعد لنا سفينة .. وسنتسلل اليها من الباب الخلفي ..

رئيس الحرس : حرام أن تغادر هذه الجزيرة ..

بجماليون : وافرحتاه يا غلاطيا بخلاصي من أعباء الحكم ومرارته . ان أشعة السعادة تغمرني .. ما دمت بقربي . ان ابتسامة تنير ثغرك الوردي أندى على قلبي من حكم الدنيا .. وداعا يا جزيرتي التي خضلت مهجتي على مذبح حبها ، وتنكرت لي . وداعا يا شعبي الذي حاولت أن أخلصه من براثن الظلم ، فظلمني .. وأنت أيتها الارض الطيبة لن تستطيع السنون أن تمحوك من ذاكرتي .. سأعيش مع حبيبتي غلاطيا على صخرة في جزيرة لم تطرقها أقدام البشر .. زادنا الحب ، ومأونا القبلات .. وتأكدي يا جزيرتي الحبيبة ان رنوة من عيني غلاطيا تبز عندي كل كنوز الدنيا .

رئيس الحرس : هل أنت مصمم على مغادرة الجزيرة ؟

بجماليون : كل التصميم .

رئيس الحرس : لتكن مشيئتي يا سيدي . وسأعد لك أقوى سفينة عندنا ..

بجماليون : أشكرك على أمانتك يارئيس الحرس .

رئيس الحرس : ألا يمكن أن أصحبك يا سيدي ؟

بجماليون : لا ... تكفيني من هذه الدنيا غلاطيا .

غلاطيا : وحسبي أنت من هذا العالم يا حبيب قلبي بجماليون .

(يتأبط بجماليون ذراع غلاطيا ، وينحدران وراء رئيس الحرس .. الى فناء القصر الخلفي حيث يركبان سفينة يتركانها للريح تقودهما حيث تشاء)

« ستار »

محمد حاج حسنين

العروبة في شعر المهجر

« بقلم الأستاذ فريد جحا »

- ١ -

مقدمة :

عندما انتهت الحرب العالميـة الثانية تحررت بعض الاقطار العربية من ربقة الاستعمار وازداد العرب ثقـافة ومعرفة وعلما نتيجة اتصالهم بالعالم الخارجي •

وكان في جملة ما وصل اليهم الادب الذي أنتجه أبناء العروبة في المهاجر الاميركية صوتا عربيا أصيلا فيه العذوبة والانسانية تارة ، والثورة العربية القومية تارة أخـرى •

وكلما ازداد العرب بالادب المهجري معرفة ازدادوا به اعجابا وله حبا ، ذلك أن ما وصلهم منه كان كافيـا ليطلعهم على ما فيه من نفحات جديدة ، وصفحات طريفة ، فيها التعبير الصادق عن تجارب لم يعرفها الادب العربي مـن قبل •

فاذا ما كثرت بين أيدي القراء العرب الاثار المهجرية الرائعة ، ومضت فترة الحماسة بما فيها من اعجـاب وحب ، أخذ النقد يلقي على هذه الاثار نظرات واعية ، وأخذت (الدراسات المهجرية) الجدية تتوالى لتعرفنا بذلك الصوت الرائع الذي أنتجه اخوتنا وابناؤنا مـن أدباء المهاجر وشعرائهم في ظلال ناطحات السحاب ، أو قرب غابات الامازون • وهكذا عرفنـا دراسات كثيرة تتعلق بأدب المهجر يرتفع بعضها الى الذرى ويعيش بعضها الاخر في السفوح • نشير منها الى كتب جورج صيدح ونادرة سراج وعيسى الناعوري ووديع ديب ومحمد عبد الغني حسن وعبد الكريم الاشتر وغيرهم ••• من هذه الكتب ما درس أدب المهجر بصورة عامة ، ومنها ما درس ناحية خاصـة فيه • ولقد كان كتـاب جورج صيدح (أدبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) خير كتب الفئة الاولى في شموله وأصالته واسلوبه المجنح واحكام النقدية الموفقة ، كمـا كان كتاب عبـد الكريم الاشتر (النثر المهجري) خير الكتب التي درست ناحية خاصة من أدب المهجر ، انه دراسة جامعية خصبة لنثر كتاب (الرابطة القلمية) •

والمتتبع لهذه الدراسات يلاحظ أن الذين كتبوا عن أدب المهجر قد مروا سريعا بموضوع هام عرفه الشعر المهجري ، وهو (شعر العروبة) ، ونريد به الشعـر الذي انشده الشعراء المهجريون حنينا الى وطنهم ، وتغنيا بآلامه وآماله •

ان الشعر المهجري الذي ألم بقضايا العروبة كثير جدا ، ويمكن أن يؤلف اذا جمع ديوانا ضخما ، أنشده أناس فجر حب الوطن في قلوبهم مشاعر سامية ، فانطلقت ألسنتهم تتغنى بأفراحنا وتبكي أحزاننا وتشاركنا على بعد الدار أيامنا السود وأيامنا البيض •

عمق الشعور وصدقه ، وعنف التعبير عن ذلك الشعور لفتا نظري الى هذا الموضوع ، فأخذت أتتبعه في دواوين الشعراء حتى اجتمع لدي منه طاقة تتفجر نارا ونورا • ان الصفحات التالية ليست الا قبسا من تلك النار وشعاعا من ذلك النور ، وعسى أن تكون مقدمة لدراسات أوسع وأغنى •

الحنين :

أول ما يطالعنا في شعر المهجر هذا الشعر الذي تغنى فيه الشعراء حنينا الى وطنهم وشوقا وأملا في اللقاء • لو

جمع - وهو كثير جدا - لالف مجموعة ضخمة من رائع الشعر الذي يملك على القارىء مشاعره جميعا .

في شعر الحنين نجد طبيعة وطننا الجميلة . لقد طال شوق (شفيق معلوف) الى وطنه ، حيث كان يقضي الليل في الكروم المتسلقة على الروابي . هناك يغري البدر صبايا الحمى ، فيقبلن ليشاركن الشاعر سحره :

طال بي الشوق ولج الظما
الى ليال في أعالي الكروم
يغري بها البدر صبايا الحمى
كأنما البدر خلال الغيوم
جمع أنوار جميع النجوم
وصبها من كوة في السما .

وعندما يظهر خيال الوطن في وجنة البدر امام (فرحات) يتمنى أن يكون هناك

اني انتظرت القمر	أشكو له أمري
فازددت لما نظر	جمرا على جمر
هذا خيال الوطن	في صفحة البدر
هذي سفوح التلال	هذي أعاليها
هذي عيون الجبال	تجري ماآقيها
هذي ديار الصبا	يا ليتني فيها

والوطن أفضل الاوطان . ان رياض المعلوف بعد أن طوف في البلاد وساح في المعمور لم يغر بمنظر ، فبلده زحلة وبيته المهجور فيها أحلى من قصور الدنيا :

كم سحت في المعمور	ما غرني منظر
فبلدي المهجور	وكوخي الاخضر
أحلى من القصور	والذهب الاصفر

هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان

وكانت أمانيهم تتجلى في العودة الى الوطن وزيارته والموت فيه . كم كان شوق عقل الجر الى وطنه كبيرا في هذه الابيات التي يحن فيها الى (الارز) حيث الشفق المستتير يلف الربى والوهاد :

أعدني الى الارز يا خالقي
فليست بلادي هذي البلاد

أعدني الى الشفق المستتير
يلف الربى ضوؤه والوهاد

أعدني فاني في مهجري
غريب اللسان غريب الفؤاد

ويتلخص أمل الياس قنصل حين عاد الى الوطن ورأى علمه يرفرف سيدا ، في أن يموت ويدفن في ثراه الطاهر :

وطني ولو نحتوا بهاك وأنصفوا
ما كان يعذل عابد الاصنام

أملي وقد شاهدت بندك سيدا
بالحق أن يطوى ثراك عظامي

وجورج صيدح يتمنى في أعذب اسلوب لو انتهى عمره حيث ابتدأ ، أي في دمشق . ان حبه لمسقط رأسه لا يمكن أن يتبدل ، وكم يتمنى أن يكون قبره هناك حيث مجد الجدود ، وصل الى السماء بعد أن ضاقت به الحفر :

يامسقط الرأس والارحام تجمعنا
حاشا تغيرني في حبك الغير

أنسى يميني ولا أنساك يا وطنا
فيك ابتدأ ليته فيك انتهى العمر

أوصيك بالروح رتبها متى انطلقت
الى ظلالك حيث الماء والشجر

حيث القبور على الاجداث حاضنة
مجد الجدود الذي ضاقت به الحفر

الوحدة العربية :

والامر الثاني الذي طالما تغنى به شعر المهجر هو الوحدة العربية • تلك الوحدة التي تصورها نسيب عريضة في (نشيد المهاجر) من العراق شرقا الى الجزائر غربا ، بعد أن داس في طريقه حدودا أقامها المستعمر :

لا حد عندي اذا جاءت حدودهم
الشام شامي ومصر أخت لبناني
وفي فلسطين أقداسي ، وعاطفتي
في نجد ، والقبلة السمحاء ايماني
لي العروبة أمشي في مخارفها
من العراق الى ما بعد وهران
أزهو بثوب فخار من منابجها
حتى تقرب أيدي البين أكفاني

والتي لا ينساها جورج صيدح في فرحته بجلاء الفرنسيين عن سورية فيدعوا اليها :

يا حداة لهودج النصر ضجوا
بدعاء للوحدة العربية
وحذارا يا حامليه فأنتم
تحملون الكرامة القومية

وحين تقام الحدود بين سورية ولبنان عام ١٩٥٠ يهزأ بهذه الحدود في بيت له يفيض شعورا وعاطفة :

رب سور على الحدود منيع
لو لمسناه بالشعور تهدم

أما الشاعر القروي فأعطوه عيدا يجمع العرب أمة واحدة ، وسيروا بعدها بجثمانه على دين برهم :

هبوني عيدا يجمع العرب أمة
وسيروا بجثماني على دين برهم

وكم كانت حملاته على المستعمرين قاسية • انه لن يهدأ بالا ما دام يرفرف في سماء عربية علم أجنبي :

واذا بيروت أم النور ولى
عن سماها أثقل الرايات ظلا
واذا السيف من الصحراء سلا
واذا لبنان بالامر استقلا
عند هذا سوف نقريك السلاما
نافضا عن أربع الفيحاء ذلا
فلبسنا العز أو متنا كراما

أمجاد الاسلام والرسول العربي :

والموضوع الثالث هو التغني بأمجاد الاسلام وبمآثر الرسول العربي محمد (صلوات الله عليه) •

ففي تلك الايام السود التي كانت التفرقة بتحريض الاجنبي تنخر في صفوف أمتنا ، وحين كان المعصبة عيونهم عن الحق وعن روح الدين السمح ، يفرقون الاخوة في الوطن الواحد ، كان أولئكم الشعراء ، في تلك البلاد البعيدة ، يفهمون الدين محبة وتسامحا ، ويؤمنون بالعروبة فكرة تجمع العربي المسلم والعربي المسيحي في رابطة واحدة •

كتب القروي في مقدمة ديوانه : « قولوا العروبة شعار الامة العربية وروحها وشمس أوطانها ••• الدين ايمان ومحبة وتعاون وخير عميم ، والطوائف طقوس وشقاق وشر مستطير ••• »

وأنشد في قصيدته (عيد الفطر) أنه يصبو :

الى علم من نسج عيسى واحمد
وآمنة في ظله أخت مريم

وأن في الوحدة خيرا ولو كانت تحمل معها الكفر :

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلا وسهلا بعده بجهنم

وليس هذا فحسب ، بل انهم تغنوا بأمجاد الاسلام ومجدوا الرسول العربي الكريم ، واحتفلوا بيوم مولده أكثر من مرة ، وأنشدوا في ذلك الشعر الكثير • فعل ذلك رياض معلوف في قصيدته (وحد الله) :

يا رسول الانام أنت عيسى
خير من يصطفى ويرجى ويقصد

عيدك اليوم غبطة وابتهاج
لجميع الاعراب والله يشهد
ايه قرآنك الكريم فشعر
رائع كله ودر منضد

وفعل مثل ذلك جورج صيدح في قصيدته (المولد النبوي) حين جعل يومه يوما أغر في الزمان ، ففيه أشعة النجوم وأنغاس الجنان :

وجه أطل على الزمان　　لألاؤه شق العنان
فيه شعاع النيرات　　وفيه أنفاس الجنان
يا صاحبي بأي آلا　　ء الرسول تكذبان

وكم كان نديا رقيقا هذا الخطاب يوجهه الى الرسول العربي بأمجاده ومعجزاته لكي يجدد ليلة المعراج ، ويكون الرائد في انقاذ الديار المقدسة :

يا من سريت على البرا　　ق وجزت اشواط العنان
آن الاوان لكي تجد　　د ليلة المعراج آن
عرج على القدس الشر　　يف ففيه أقداس تهان
ضج الحجيج به وريع　　ضريحه والمسجدان

قضية فلسطين :

وتمضي هذه الابيات بنا الى موضوع جديد هام هو قضية فلسطين . فلسطين الوطن السليب والمأساة العربية التي أهدرت كرامة الانسان بقدر ما أهدرت كرامة العرب ، فلسطين بما رافقها من مخاز ، وما نتج عنها من آلام صفعت وجه الذين صنعوها .

هذه القضية ، قضية العرب الاولى ، هزب قلوب المغتربين عامة ، والشعراء منهم خاصة ، كما لم تهزهم قضية . وليس هذا غريبا لان سنة ١٩٤٨ ، وما سبقها وما تلاها ، تمخضت عن أبشع كارثة ألمت بالعرب في تاريخهم . لذلك أنشدوا فيها شعرا كثيرا ، وجمعوا لها مالا وافرا . وضع جورج صيدح كل نسخ ديوانه (النوافل) تحت تصرف لجان نصرة فلسطين ، ورد الشاعر القروي مبلغا ضخما من المال أرسل اليه من وزير عربي ليسلح به الجيش ، وليكون رصاصة في صدر يهودي ، أو قنبلة فوق (تل أبيب) .

وفي مرارة وألم يناجي أبو ماضي (ديار السلام وأرض الهنا) :

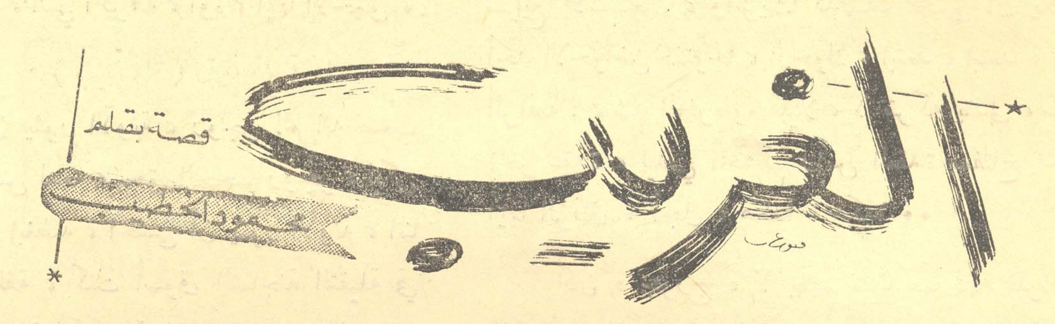
ديار السلام وأرض الهنا
يشق على الكل أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلا
وما كان خطب العلا هينا
سهرنا له فكأن السيوف
تحز بأكبادنا ها هنا

أما مأساة اللاجئين العائدين الذين يعيشون بأمل العودة الى ديارهم حياة البؤس والتشرد ، فقد صورها زكي قنصل بأبيات تفتت الكبد :

لهفي على أصراره غصت بهم
بيد وضاقت أنجد وسهول
مليون عان في العراء تشردوا
لم يختلج لهوانهم مسؤول
نصبوا على درب الرياح خيامهم
يذكي جراحهم غد مأمول
ان يرقدوا فالذعر في احلامهم
واذا حموا فالهول والترحيل
الحر يجلدهم بنار سياطه
والقر سيف فوقهم مسلول
يسخو عليهم بالفتات منعم
ويمن بالثوب الارث بخيل[1]

---

(١) للحديث تتمة موعدنا معها في العدد القادم



« وقعت حوادث هذه القصة في احدى شركات النفط في الخليج العربي ، ننشرها بعد تغيير الاسماء الحقيقية »

فكر « جورج » وهو يكبو خلف مكتبه الواقع في ادارة المرفأ :

ـ كيف تطير هذه الذبابة ؟!.

هذه العبارة دارت في رأسه أكثر من ألف مرة خلال الشهور الفائته الاخيرة ، وقد حاول أن يفلسفها فلم يصل الى نتيجة .

ورفع بصره نحو المستر « اليس » وكرر قوله على مسمعه :

ـ روجر ، هل تعرف كيف تطير الذبابة ، انه من الصعب تفسير هذه القوة .. كما تطير الطائرة تعتقد ؟.. كيف يتطور تفكير المرء ، روجر !. كنت لا أساوي شيئا في المملكة المتحدة .. كنت أسوق الشاحنة الثقيلة ، انك تعلم ذلك ، روجر .. كيف تطير هذه الذبابة ؟!. روجر ، الا تتذكر ماضيك ؟ ، لقد كنت سيء الحال انت الآخر ، كيف اصبحت الان ! ، وأنا ! ، أوه ! ، روجر .

ـ لاتثرثر كثيرا ، جورج ، لاتدع أحدا يسمعك ، انك مسؤول كبير هنا ، اذهب الى المرسى رقم ٣ ، الق اوامرك جيدا هناك ، لقد انتهت حمولة المركب ، لاتثرثر بحق الجحيم .

ـ من المسؤول هناك ، روجر ؟.

ـ قاسم ..

ـ أوه ! ، روجر ، انني أكره هذا الوغد ، انه صعب المراس ، انه يتحمس لدمه .

ـ لا تلق اليه بالا . الق أوامرك جيدا . اذهب .

ـ أوه ، روجر .

وادار يده في أكرة الباب وخرج وهو يتمتم :

ـ هذا الوغد ، انني ابغضه ، انه يتحمس لدمه ..

كان البحر ساكنا ، والحر شديدا ، والميناء يرزح تحت رطوبة ثقيلة . وكان يرسو في المرفأ ثلاث حاملات للزيت فقط . وكان « قاسم » يقف أمام مكتبه الصغير في المرسى ويراقب عمال التخليص ، والرطوبة تقطر من جسمه . وكان مراقب العمال يقف معه ويحدثه :

ـ أيها السيد ، هل تم اخلاء الخراطيم من الزيت ؟

ـ أجل ، أيها الاخ .

ـ هل نبدأ بحلها ؟.

ـ أجل ، أجل .

ـ وعامل الرافعة ؟.

ـ انه فوقها .

ـ أشكرك أيها السيد . أيها الاخوة ، لنبدأ بسرعة ، علقوا الخرطومين ، كلا من رأسه . هل ستغادر الحاملة حالا ؟

ـ بعد انهاء اوراقها .

ـ اشكرك أيها السيد ، بسرعة أيها الاخوة . أيها الرفيق على الرافعة ، ارفع الخرطومين قليلا ، سوف نفك العقد .

كان « جورج » يقترب من المرسى ، وكان يبدو مغمض العينين ، وكانت يده تمسح وجهه باستمرار ، كان يلهث من شدة الحر . وقبل أن يصل حاول أن يقنع نفسه عدة مرات لكي يلقي التحية . وحادث نفسه :

ـ هذا الوغد ، انني أكرهه ، أوه ، أيها الاحمق •

وفكر :

ـ أخشى أن يثور الآونة ، روجر !• انه صعب المراس ، انه يتحمس لدمه ، بحق الجحيم روجر ، ليكن الامر عاديا • انني ابغضه ، اخشى أن يثور الآونه ، اننا غرباء في هذه المنطقة ، كنت أسوق الشاحنة الثقيلة في بلاد الملكة • روجر ! ليكن الامر عاديا • ـ « لا تثرثر كثيرا ، جورج ، لا تدع أحدا يسمعك ، القِ أوامرك جيدا ، لقد كنت تسوق الشاحنة الثقيلة ، كنت سيء الحال ، جورج » • حسنا روجر ، بحق الجحيم ، حسنا ، هذا الشبح الهزيل ، أوه ، انني امقته •

وتمتم باجهاد :

ـ اسعدت صباحا ، ايها السيد •

ـ اسعدت صباحا •

ـ كل شيء على ما يرام ؟ •

ـ أجل •

وتميزه جورج بحنق ثم قال :

ـ سأهبط الى الحاملة •

فأجاب قاسم :

ـ حسنا •

كان عمال التخليص منهمكين • وكان المراقب يحمل مفتاحا طويلا ويساعد على حل احدى العقد ، وكان قبطان الحاملة وكثير من البحارة يقفون على سطح المركب ويرقبون كل شيء • ولما هبط « جورج » استطاع أن يلحظ بعض البحارة وهم يتفحصونه ، واستطاع أن يلحظ القبطان وهو يرى اليه ، فحياه بهزة من رأسه • وعندما وقف عند العمال ، كان يبحث عن سبب ليثير غضبه ، كان العمال يتحادثون ، وكان المراقب يحاول أن ينحي أحد رفاقه ليقوم بعمله :

ـ ابتعد قليلا أيها الاخ ، سأقوم بحلها بنفسي ، لا تدق هكذا على الحديد ، نخشى أن تتولد شرارة ، الغاز سريع الاشتعال ، والزيت كذلك نخشى أن يكون أحد الاحواض مفتوحا ، ارجوك ، ابتعد ، ابتعد • عامل الرافعة ؟ ، شد الخرطوم قليلا ، لا تتركه يتدلى ، سنفك آخر عقدة ، ليلقي أحدكم رأس العقدة بمفتاح آخر ، أيها الرفاق • أجل ، هكذا ، هكذا ••

كان « جورج » لا يفهم شيئا مما قاله المراقب ، ولكنه استطاع ان يدرك أخيرا أنه ينبه العامل الى عدم الدق على نقطة الاتصال بمفتاح حديدي ، لذلك عض على شفته عدة مرات في نفسه ، وانب حدسه كثيرا ، لكونه لم يتذكر ذلك بسرعة • لقد فكر بأن هذا السبب كان كافيا لاثارة عضبه ، والقاء أوامره ، ولكنه تمتم في ذات نفسه :

ـ لقد فات الاوان ، أوه ، كم كنت غبيا ، سوف ارقبهم جيدا الاونة •

وقال المراقب :

ـ رجل الرافعة ؟ ، اترك الخرطوم يتدلى نحو السطح ، أتركه يرتخي ، شد الخرطوم الآخر قليلا ، علقه جيدا • ايها الرفاق الى الخرطوم الثاني ؟•

ونظر نحو قاسم وهتف :

ـ أيها السيد ، خمس دقائق فقط ، سيكون كل شيء على ما يرام •

ـ حسنا أيها الاخ •

وفكر قاسم :

ـ هذا الرجل نشيط للغاية ••

ونظر نحو جورج وقال في ذات نفسه :

ـ هذا الانكليزي ـ سوف لا ينهي الامر بسلام ، اني أراه يرتعش ، هذا الغريب !! ، سائق الشاحنة البغل ! •

كان يرى اليه جيدا ويمعن • والى حد ما شاهد ، أنه كان يرتعش كثيرا ، وباستمرار • وكان جورج لا يزال يبحث في قرارة نفسه عن أدنى سبب لاثارة

غضبه ، ولكنه قرر أخيرا أن يتعلق بايما شيء ، فهو ، الآونة ، ينظر اليهم ، والعمال منهمكون تماما ، والمراقب يشد العقدة القاسية يحاول حلها ويلهث بعض الشيء ، وتمتم :

ـ انها عقدة قاسية !

حاول جورج أن يتكلم ، واقترب قليلا ثم أدنى رأسه من المراقب • كان يرى الى قليل من الزيت يسيل من الخرطوم على سطح الحاملة ، فزم حاجبيه ، وهمهم ببضع كلمات متقطعة :

ـ ليس بهذه الطريقة !

لم يفهم المراقب جيدا ، كان متعبا ، وكانت انكليزيته سيئة ، وكان الطقس حارا والرطوبة تسيل من أسفل ذقنه • وحاول « جورج » ان يكرر عبارته بغضب ، لقد شعر كأن أحدا يركله ، فلمس كتف المراقب ، وقد لاحظ أن يده ترتعش ، ثم قال :

ـ لقد قلت لك ، ليس بهذه الطريقة !! •

ـ ماذا ؟!

وصرخ جورج :

ـ اسمع ، لا أريد جدالا ، ابتعد قليلا عن الخرطوم ، واصعد فوقه وشد العقدة بقوة • ليلقى اثنان منكم الطرف الاخر ، بسرعة !؟

ـ سوف أسقط على رأسي ، أن الزيت يسيل على السطح ، سوف أسقط ••!!

ـ لا يهمني •• ثم أن شيئا آخر ، هذا الزيت ، اريدك أن تنظفه ، فهمت ! ، نظفه جيدا ••

ـ هذا ليس من شأننا • قل لرجال الحاملة ••

ـ قلت لك نظفه ••

واخذ يهزه من كتفه بعنف :

ـ فهمت ، اريدك أن تمسحه جيدا ، امسحه بملابسك ، أيها البقري •

لقد تفحص المراقب فيه جيدا ، وأحس كأن شيئا اقتلع امعاءه • انه يعرف معنى كلمته الاخيرة ، وقطب جبينه بانزعاج ، ونفخ عدة نفخات هستيرية ، وأمسكه من ياقته والقاه فوق الخرطوم يضغط عليه • كان جورج يرتجف تحته كالقط ،وكا ن المراقب يلهث بقوة ، ثم صرخ في وجهه :

ـ أيها الانكليزي القذر ، ابن الزانية ، اسمع ، اسمع جيدا ، سأشرخ رأسك بهذا المفتاح وحق الجحيم، هل تسمع ! ، سأشرخ رأسك •

وتمتم يخاطب « قاسم » :

ـ ترجم له ايها السيد •• ترجم له ••

وتطلع نحو « جورج » وتابع :

ـ انهض • أيها الانكليزي صائد السمك • ان رائحتك تقززني •• تفو !!

ونهض جورج ، وتمتم بضع شتيمات وقحة ، ثم أخذ يهرول صاعدا الى المرفأ • لقد رأى الى قميصه وهو ملوث بالزيت ، فأخذ يمسحه بعصبية ، ويخاطب «قاسم» :

ـ لقد رأيت بعينيك ، لقد رأيت بعينيك • سوف تقول ذلك مفصلا غدا • هذا الوغد ، ابن الكلبة ، هل رأيت ماذا كان سيفعل ؟!• لقد كاد يشرخ رأسي ، أوه •• أوه ••

ـ جورج ، لقد كنت سيء التصرف معه ، هذا الرجل لم يبدأ السوء ، انه يعمل بكل قوته ، لا تشتمه ، لا تشتمه ، وحق الجحيم ، انك رجل سليط اللسان كثيرا ، سوف لا تنجو من قبضة يده مرة أخرى ، سوف يشرخ رأسك ، أيها الغريب ، سوف يشرخ رأسك •

ـ انك تقف بجانبه ، ايها الرجل ، اليس كذلك ! حسنا !•• حسنا !•••

وانصرف بسرعة ودخل الى مكتب المرسى ، ورفع سماعة التلفون واخذ يحكي مع المستر « اليس » • كان قاسم يسمعه جيدا وهو يصرخ بصوت مرتفع • كان ينصت اليه ••

قال جورج :

ـ روجر ،هذ االوغد ، كاد يشرخ رأسي الاونة ، المراقب ، المراقب روجر ، لقد طرحني ارضا ، أوه ! لقد لوث قميصي بالزيت ، لم افعل شيئا روجر ، حاولت أن القي اوامري ، كان ذلك بسببك ...

ـ لا تتشدق كثيرا .. لا تصرخ .. لا تصرخ .. اكتب تقريرا طويلا ، هل كان قاسم هناك ؟ .

ـ أجل ، أجل ، لقد شتمني هو الاخر ، روجر ، انهم يحترمونه ، انني أكره هذا الوغد .. انه يتحمس لدمـــه ..

ـ اخرس جورج .

ـ روجر ، كاد يشرخ رأسي هذا المراقب ، أوه ، روجر ، انني اشتاق للشاحنة ..

ـ حسنا ، حسنا ، احضر حالا ، لا تحدث أيما ضجة .

ـ سوف احضر روجر .. حالا روجر !

واغلق السماعة ، وخرج مسرعا ..

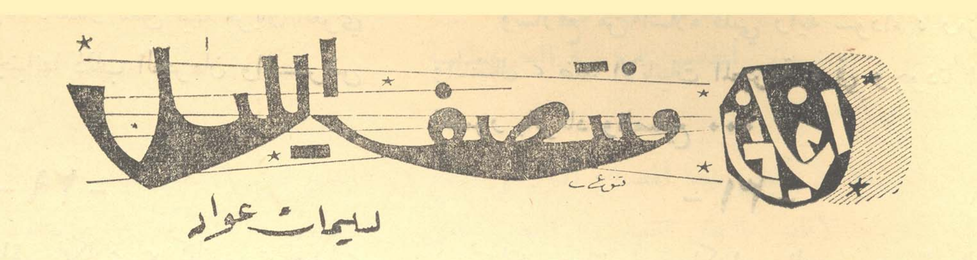
كانت حرارة الطقس قاسية .. وكانت الرطوبة متزايدة .. ووقف المراقب يخاطب « قاسم » بصوت مرتفع :

ـ انتهى أيها السيد ..

ـ حسنا أيها الاخ .

فكر جورج مليا وهو يسير على المرفأ ، وتمتم عدة كلمات ، والى حد اليأس رفع يده ونفخ عليها بعصبية ، وقال بنبرة مخنوقة .

ـ أمر عجيب ، كيف تطير هذه الذبابة ؟!!.



- ٢٦ -

كان الفكر في بلادي الها مصلوبا ، ضحية من ضحايا الديكتاتورية الباغية ، والبربرية المرعبة التي كانت تلهب اجساد المفكرين الاحرار ، بسياط من ضغط وعنف واضطهاد . وتمزق اراوح الناس الطيبين بأنياب واظافر من جهنم ... كما كانت الاسود الجائعة تمزق اسرى الرومان !!..

على الفكر ان يجرا نهرا زنجيا في مجاهل العبودية ، في مخطط الاستعباد ، والا فالاقبية المعتمة ذات العيون المحمرة ، والزنزانات المعفنة ، تنتظر المفكرين الطيبين .

الفكر رغم الصلب والجلد والتعذيب ، سيبقى سيد الصالبين والجلادين ، لانه سيد الحياة ، لانه الشمس الابدية في هذا الكون العجيب ، الغارق في الثلج والوحل والاختناق ...

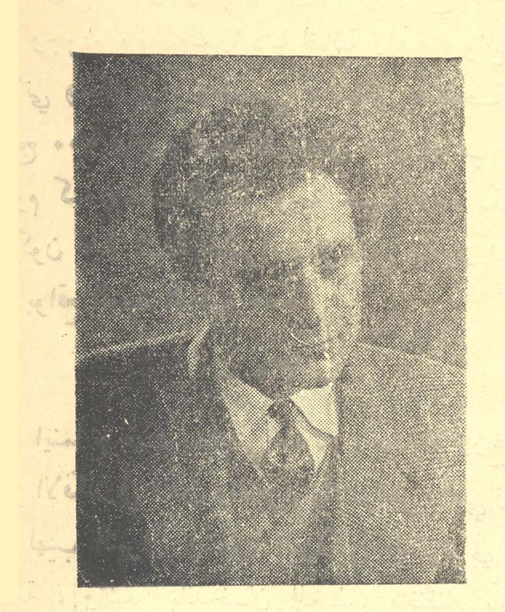
ترى .. أي فرق بين الانسان والحيوان ، اذا قتلت في الانسان ازهار العقل ، وسحقت ثمار الذهن والعبقرية ؟!!..

لا تصلبوا ، الفكر ، لا تصلبوه ...

لا تفتكوا بألوهية العقل ، ومعنوية الانسان ...

- ٢٧ -

يا لهذه الروح القوية التي تحلق ابدا فوق الغمام وجذعها ابدا منغمس في المستنقعات ... ان روحي نسر جبار ، اطلق جناحا نقيا في السماء وابقى جناحا ثائرا في الارض !!..



يا لهذه الارض المنكودة المكتظة بأسراب الذباب وعصابات الخفافيش ...

لقد سكر جناحي السماوي من التحليق في الاجواء القدسية الزرقاء ، وأصاب جناحي الارضي انهاك شديد ، من الزحف القسري بين الزعانف والديدان !!..

ابدا اسحق الحشرات بجناحي الثائر الملتهب ، وأسمو بالاخر في رحاب الآلهة ...

- ٢٨ -

الاغريق ... الاغريق الفلاسفة العظام ، كانوا يؤمنون ان الانسان لا يستطيع خوض غمار الفكر والفلسفة ، اذا كانت امعاؤه تصرخ كالمرأة المفجوعة ..

فكيف بنا نحن الشعراء ... نريد ان نفلسف الحياة ، ان نبني عالما جديدا من نور وعدالة ، ومن

ورود وغبطة .. وامعاؤنا كالقفار تنعق فيها غربان العري والجوع ، وتعوي في جنباتها ذئاب الحرمان والمـرض والعذاب !!...

- ٢٩ -

كثيرا ما كنت احلق بأفكاري ، كالنسر ، بعيدا ، بعيدا عن هذا الوجود الاحمق الذي اضاع نفسه وفقد معنى وجوده .. متصورا دنيا خيالية زاهية ، واليها كانت خيالاتي وافكاري ، وفلسفتي ، تنطلق بأجنحـة مـن بنفسج ... واليوم اريد ان احلق ، ان اداعب وجـه النجوم كما يداعب العاشق وجه حبيبته ... لكن اريد ان اكون غابة كثيفة خضراء ، تربطني جذور اسطورية قوية بواقع الحياة الحارة ...

- ٣٠ -

اينما توجهت بسفينتي متفائلا ، محاولا زرع المسرة ونشر الافكار في المدن والجزر والشواطىء التيازورها ، ارى لهيب النيران وشظايا البراكين الثائرة في دروبي الضيقة ، واشعر بالدخـان البغيض يخنقني بأمواجـه المروعة ...

لكني لا اتزعزع امام العواصف ، فأنتصب قبالتها بأنفة صارخة كقمة جبل جليدي ، في جزيرة متكبرة ..

ان لي قلبا ابيا شذبته الجراح ، صقلت اعماقـه الكئيبة يد الالم . وما اصطباري البطل الوجيع سوى أناشيد تمرد وعنفوان !!..

ان حاضري المسموم خطوات جريح أليمة في عالم متهريء من الاوصاب ...

لكني رغم الخطوب سأسطر في تاريخ التطـور والكفاح قصائد ملتهبة دامية ، اوقظ بنغماتها النارية افئدة الاجيال المقبلة . لتكون سبيلا واضح المعالم والسمات ، لابناء شعبي التائهين في مفاوز الخرافات وكهوف الذل والغباء ...

وسأرفع من اشلاء قلبي راية سوداء ، رمز التألم والنضال ، ضد الانانيات المجرمة ، في وجودنا البشري المغمور بالرماد والصقيع ...

- ٣١ -

لقد حملتني من اكداس الهموم وجبال الاحزان الثلجية فوق ما تتحمله قدرة الانسان .

اتريد ان تحطمني .. حسنا .. افعل .. افعل بي كما تريد ،

لكنك لن تستذلني ايها الزمن !!!...

كل انسان يحمل في قلبـه جوهرة ورمادا ... وعنـدما تهب رياح الشدائد والمحن السامـة ، فتصفع بسياطها المجنونة قلوب البشر ... اما ان تنطفيء هذه الجوهرة وتصبح رمادا ، في رماد ، فيكون بذلك موت الانسان ، موت مقاومة الانسان في هذا الكون الرهيب .

واما ان تندلع هذه الجوهرة وتحيل القلب البشري الى بركان ، يتفجر بالجواهر المشعة ، والنيرانالخالقة .

وهنا ينتصر الانسان الجلود المتفوق على كل شيء ، حتى على الزمن ...

آه .. لقد انتصرت .. لقد انتصرت ...

اليك عني ايها الزمن ، ايها البحر المتجمد ، ايها الغول ...

اليك عني .. أو سأحرقك بشواظي وثورتي !!..

- ٣٢ -

نحن لا نزال تائهين في سهول القلق الجليديـة وبوادي الظلام ،

ويساورني الخوف احيانا ، من ان نبقى طـوال العمر هكذا تائهين ...

اننا بامس الحاجة الى مصباح « ديوجين » فيلسوف

اليونان ، كي نبحث عن « انسان » الهي يقود شعبنا الطيب الى انوار الفجر الروحاني المقدس ، وجنة الحريــة الابدية الكبرى ...

فمن بوسعه ان يأتيني بهذا المصباح النوراني اقطع به ارجاء البلاد ، لاظفر بالبطل المنقذ .. البطل الذي يمحق عبيد الرق والباطل والظلام الى الابـد .. الى الابد !!...

وان لم أحصل على بغيتي الآن ، فلا يخامرني الحنق والامتعاض ، طالما ان طريق التحرر مفتوح ، امام مصابيح الاجيال المقبلة ...

- ٣٣ -

اصرخ ياقلبي الجريح ، اصرخ حتى تنسحق شرائع الطغيان واحكام الاستبداد ، وتنهـدم قباب التعسف والجبروت في كل الاصقاع المظلومة ..

اصرخ حتى تزول الجماجم الصدئة ، وتضمحل الافكار الرثة القاتلة ...

اصرخ .. ففي صراخك سموم مدمـرة تفتك بالعروق الملوثـة والدماء الاسنة ، التي ما نبضت الا بالحقارة والنذالة والوحشية ..

اصرخ ، عربد ، زمجر ، حتى يموت الظـلام الطاغي العنيد ، ويندثر الاضطهاد الهمجي ويتـلاشى استعباد الانسان لاخيه الانسان !!...

اصرخ .. ففي صراخك يكمن لهيب الحيـاة القوية ، الحياة الثائرة المتطورة ...

اصرخ .. وغن اغاني الحرية المبتغاة ، الحريـة المصعوقة ، المكبلة بالسلاسل ، والاغلال والمطامع الدولية ... الحرية المطعونة في الصميـم ، الحرية التي هل أمل الشعوب المضطهدة الوحيـد ، وهي هواؤهم الــذي يستنشقونه ، وعلمهم المرتقب وعيشهم الكريم المقصود .

اصرخ ... فقلوب ابنـاء هذا الجيل الاخضر متعطشة لهذا الصراخ الحي المتدفق لهذا الندى الروحي الذي يحيي الافكار المنطوية في صمت على الظلام ، وينعش القلوب الراكدة في جحيم عصرنا الوحشي ...

- ٣٤ -

انا انسـان مقهور ، انسـان قد صعقني الاضطهاد البربري ، مزقت اعصابي جوارح النعرات والتعصبات حطمت عظامي عواصف الطغيان في عهود مضت ، عهود ما عرف التاريخ في وطني اشد منها جبروتا وارهابا ...

فانقلبت على الاثر ، انسانا بربريا قاسيا متوحشا ، اهدم بمعولي الصلد قباب الظلم والباطل ، اسدد بيد من جهنم سهام الثأر والنقمة ، اسحق بقلب من فولاذ رءوس أفاعي الارهاب والتعسف والاستبداد ..

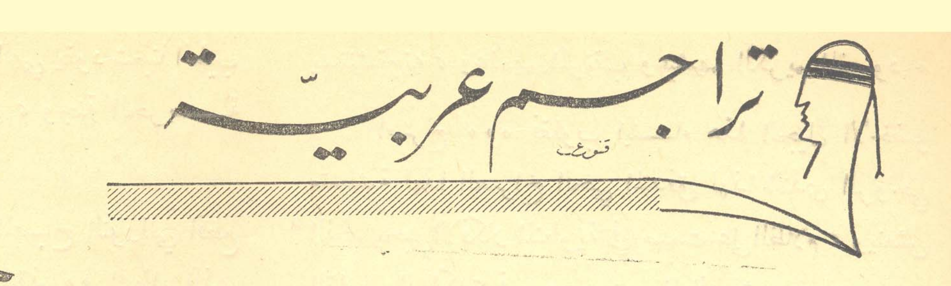
سأدافع عـــن نفسي وعـــن ملايين المضطهدين الناقمين ... سأكافح في سبيل الحريات الطعينة المخنوقة ، والكرامات الانسانية الممزقة ...

سأناضل في سـبيل النفوس البائسـة المستضعفة ، والنفوس المستذلة المنطرحة في زوايا الاهمال وكهوف الازدراء ومغاور التنكيل والسخرية ...

سأحارب في سبيل العيون الدامعة بحرقة ومرارة ، والجفون المؤرقة المتورمة ، والصدور المتهرئة التي تعمر مرة واحدة في حياتها بأمل زاهر اخضر ، والقلوب التي تتأكلها المصائب وتنهشها الهموم وتفترسها الاوجـاع ، والرءوس التي يعشش فيها عنكبوت الجهل والغباء ...

سأدافع ، وادافع ، حتى ينطفيء مصباح عمري !!.

سليمان عواد



معروف الرصافي شاعر وانسان

بقلم : عبد الكريم احمد الحمود

لو كان لمعروف الرصافي أن يختار ، لما اختار غير طريق الكفاح من أجل الشعب .

ففي كل عام تحيي الشعوب العربية ذكرى شاعرها الرصافي .. وفي كل عام ، يلمس الناس كيف يتألق معنى هذه الذكرى امامهم وينمو ويضم في افيائه وجوها جديدة وزنودا واذهانا تفتحت فرأت النور ورأت الدروب ورأت الحياة وهي تسد الافق بزخمها الصاعد ، وتسير الى نصرها العظيم ، فسرات مع القافلة نحو آفاق الفكر والحرية .

و في ذكرى الشاعر العظيم يتحسس الشعب طريقه نحو الاستقلال والحرية ، وفي عيون المحتفلين الف سؤال !! واشارة استفهام ؟! فلست الان بسبيل ان اكتب دراسة بالمعنى الحقيقي لشاعرية الرصافي ، ولا تعريفا كاملا بمكانه من تاريخ حركة التحرر العربي ، واعني قضية تحرر واستقلال الشعوب العربية ، او بمكان شعره من التعبير عن هذه المسؤولية التاريخية ، فان لهذا دراسة وافية ، وموعدا آخر احرص أن اكون وفيا له .. وفيا لتقاليدنا الفكرية ، وفيا لعظمة شعوبنا العربية ، وفيا تراثنا الادبي .

ساعة وجدنا الرصافي وجدنا معه نفوسنا ، وآمالنا في التحرر من السيطرة الاستعمارية ، ووجدنا لوطننا الصفحة المشرقة لتاريخنا الوطني ، وقد يتساءل البعض : لماذا يحتفل الشعب بذكرى معروف كل عام ؟ الأنه شاعر كبير فقط ! والاجابة على هذا السؤال هو اننا نحتفل بذكراه لانه شاعر انساني كبير ، ولانه فوق هذا ، كان مكافح ضد الاستعمار والرجعية والجمود الفكري .. تلك كانت مسيرة الرصافي وتعلقنا به .. وذلك هو ردنا على المتسائلين : لماذا احببتم الرصافي ؟ فدفعناهم سنين الى الوراء ، وقلنا لهم اقرأوه مناضلا ضد التحكم العثمرني ، ومكافحا ضد الاحتلال ، رافعا شعار الاستقلال والتحرر الوطني للعراق والوطن العربي لعله كان مدرسة !

آتون نحن نعلق اشعار « رصافينا » نتفيأ في ظلاله حب الانسانية لنمنح أجيالنا الثقة والحب والفداء .. تلك أيام توالت علينا ، أمثولات وحكايات واساطير ! عن « معروف » يعبق الندى فينا وينمو الاخضلال .

تعلمنا في مدرسة الرصافي ، في ما تعلمناه من الامثولات ، والبطولات ان الوطنية فداء ، واستشهاد في سبيل الوطن والشعب .. ان نكدح ونشقى ونتمزق من أجل العروبة توقا الى التحرر .. هكذا علمنا الرصافي ، فاذا لم توجد هذه الوطنية فيا للعار !! وبئس الفكر الذي يطعن ضميرنا ووجداننا .. وتلك ديباجة الفكر غير مترفة .. ليست في زحام الصالونات ، واصدار المراسيم التي تضطهد الفكر وتهين الانسانية .. ما سأحاوله أنا

الان . فيا لسعادتي ، اذ أراني أشدد بأني « قـرأت التاريخ مثلما قرأه الناس ، فاذا هو حكاية عامل وخامل اي حكاية منتج ومستثمر ، حكاية كادحين وخنافس مذهبة : فهل تحسبني مخطئا اذا انا اسقطت الخنافس المذهبة من الحساب ؟ » .

اذن لماذا اشذ عن الموضوع لاتكبد مشقة الانتقال الى معروف الرصافي وانا بصدد الحديث عنه ، ولكني راسخا في دفاعي عنه كالوتد .. وبصحبته احس انني مشدودا الى وطني .. كم تتجلى في نفسي آفاق الحياة.. فلا بد اذن من الحـديث عن ذلك الانسان العـربي السمات ، ذلك الانسان الذي كان الوقار الناصع الابيض يكلل هامته المشرقة .

أجل لا بد من الحديث عن ذلك الانسان الـذي لا أملك ان اقول انه جزءاً من تاريخنا الوطني .. من نضالتنا الثورية ضد الاحتلال والاقطاع .

لعله كان ثورة ! فمنذ مئات السنين ، وارضنـا ترضع معنا دماء الذين سقطوا ضحية « الحق الآلهي » لتلتهب حناجرهم بصيحات الثورة الانسانية التي أشعلت معنى جديدا في ظلام التاريخ ، ولكن تاريخنا يتعقب الامور بتفاصيلها الى أقصى آلاف السنين و « رصافينا » كان أيضا يتعقب دقائق القضية معلنا الثورة والانعتـاق لكل الناس ، وكل الاجيال الصاعدة ، ولنصغ اليه وهو يقول في قصيدته « ايقاظ الرقود » :

سكنـا من جهالتنـا بقـاعا
يجور بهـا المؤمر ما استطاعا
فكدنا ان نموت بهـا ارتياعـا
وهبنـا أمـة هلكت ضيـاعا
تولى أمرها عبد الحميد

ويقول أيضا :

أنم عن ان تسوس الملك طرفا
أقم مـا تشتهي زمرا وعـزفا
أطل نكر الرعية ، خيل عرفا ،
سم البلدان ، مهما شئت ، خسفا
وارسل ما تشاء الى اللحود

لكأنه كان يتضوع العطر والحنان ، ويتضـور الحب بأسمى معانيه .. قلوب عرفته فحدثته عن الانسانية وشمولها .. وافئدة مست مجامع فؤاده فحدثته عـن شموخ القضية ، وحسبه يصغي بلهفة لكلمة حـلوة اسمها الحرية .

لهفي على « رصافينا » يطعنه « الصغار » الـذين احتضنتهم أرضنا وارضعتهم .. لم يكونوا كما تريدهم الامة ، ويبحث عنهم الوطن في الملمات .. ولعمري ، أكان امرا غريبا ان يتخذ معروف الرصافي كل هـذه المواقف الزاخرة بالفضائل الوطنية ودبالة الضمير .. ولكن مواقفه لم تكن في نظر « كهنة الفكر » .. الا « نرجسية » و « ازدواج شخصية » .

اترى الذين لوثوا تقاليدنا الفكرية يخجلون ، وهم يخونون مصائرنا ، فيسودون المقالات لتشويه سمعـة الونـط ، الأن الرصافي بعث في نفوسنا جلال الثقـافة والفكر ، والاستقلال ، وهو القائل :

راموا الصلاح وقد جاءوا بلائحة
خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
عدوا النصارى ، وعدوا المسلمين بها
ونحن نعهـدهم طرا اعاريبا
أني مصالح دنياهم ، وهم عـرب
جاءوا على حسب الأديان ترتيبا

ان الرصافي الذي عاصر الطغيان الحميـدي ، واكتوى بناره ، وتقلب على مسرح الاحداث ، ليرى كيف يدنس جنود الاحتلال شرف الوطن وقدسيته ، حيث عاد الى الينبوع ليغني للعراق والعروبة والانسانية أناشيد التحرر والثورة تزهر في اعماقه فينضوي تحت لواء المعركة ، معركة الشعب وصيحاته المعذبة ، وبؤسه وافراحه :

نشروا المعاهدة التي في طيها
قيد يعض بأرجل الآمال
قد ابلعونا حبة استعبادنا
لكن مموهة بالاستقلال
والعهد بين الانكليز وبيننا
كالعهد بين الشاة والرئبال
شلت اكف موقعيها انهم
حلت عليهم لعنة الاجيال

ان هذا لا يكفي أن نقول أن الرصافي قد عاش فترة مضطربة من الزمان ، لان الثورة كانت تجري في عروقه نمو الحنان الذي يجري في الاعماق ، فجاءت اكثر قصائده توثبا الى المستقبل تتعطر في اجوائها الروح العربية بكل خصائصها العميقة ، وملامحها الاصيلة ، لا يكفي ان نقول ان « الرصافي » شاعر عربي فقط ٠! ان الروح الانسانية تسري في دماءه ٠ ان ثورة عارمة هي من معطيات ارضنا التي منحتنا هذا الشاعر ، فتحت سماء بغداد الجليلة عاش شاعرا كان فلتة زمانه ، وتحت سماء المدينة التي تحولت قديما الى متاريس للمقاومة تحمي تراث الجاحظ والكندي من الضياع ٠٠ وبغداد دائما حبلى بالشعر ، والحرف ، والكلمة ٠

لقد احتل « الرصافي » مكانا بارزا في تاريخنا العربي ، ولقد تعدى بقصائده حدود العراق ، فغزى الدنيا العربية لاشواقنا الى المجهول !! فنظم شعرا ينبض بالحركة والجمالية ، فرددنا نحن ابناء هذا الجيل قصائده في افراحنا ، وموالدنا ، واعراسنا الوطنية ٠

حمل من بغداد الى الدنيا تاريخ امة وشجاعة شعب وجروح اناس عاديون وولع بالحرية بكل سموها واخلاقياتها ، وربط ماضينا بحاضرنا ٠

لقد مات الرصافي بصمت وكبرياء وشموخ ٠٠ انها ميتة الابطال تروي حكاية الجهد والكفاح ، والفداء ٠٠ فيها نسيج المستقبل تحوكه السواعد الطيبة ٠

ويوم يكتب التاريخ قصة الشعر ومواقفه الادبية ، وعندما يتناول التجسيد الشامل لقوة الكلمة سيهب شاعر العرب فلذة حية من كفاح امتنا العربية ٠

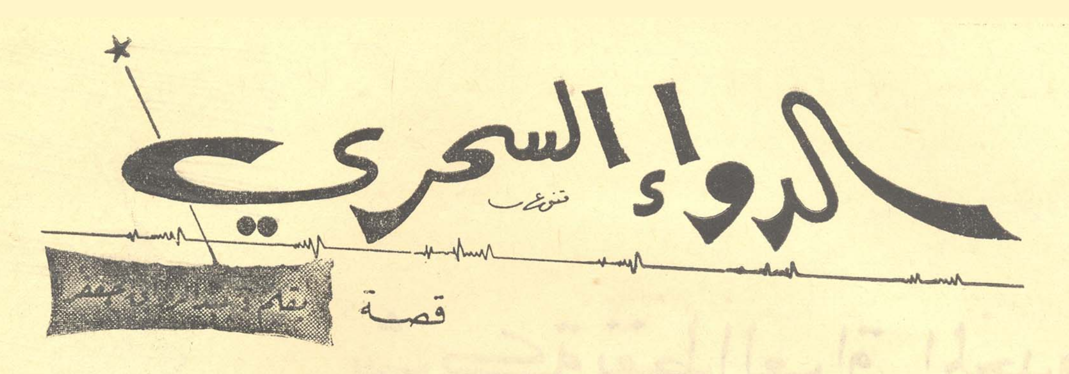
البصرة ـ عبد الكريم احمد الحمود

أهلاً بالناقد

والنقاد ٠٠ المجلة الراقية التي أعطت الفكر أصالة أبداع حقيقية ٠٠ عادت لتعطي الادب مدا حضاريا لا يحد ، وزخما فكريا لا ينفد ٠٠ عادت بحلة جديدة واسم جديد ٠

والناقد ـ فلذة كبد النقاد البكر ـ ستؤدي رسالتها في عالم الثقافة على أكمل ٠٠ وأفضل وجه ٠ وما هذه الاسماء الادبية السورية التي تتسلق ـ اليوم ـ صفحات المجلات في العالم العربي الا نباتات اعطاء ٠٠ ورشات عطر ٠٠ ولدت قيمتها الادبية وصقلت موهبتها على صفحات النقاد ٠

وقد جاءت أعداد الناقد حافلة بالثمار الادبية ، خلقتها نخبة من خيرة الادباء والشعراء ٠ والثقافة التي رعت الادب والفكر في أيام وليالي حالكة السواد ٠٠ يوم خلت الساح من مجلة فكرية راقية ٠٠ تحمل عبء الرسالة الادبية الضخمة ، والتي تربطها بالنقاد روابط الزمالة والمحبة والصداقة ٠٠ تبعث بتحيتها الحارة للاستاذ فوزي أمين وللاستاذ سعيد الجزائري جندي الفكر الصامت الذي يعطي الادب نور عينيه وقلبه ووجوده ٠ تحية حارة من الاعماق ٠٠ ومن «حسن الى أحسن ٠



من عادتي حين أكون حرا بعض الوقت أن أتسكع في الشوارع والطرقات من غير هدف ، أسلك أي اتجاه ، وأقف أمام أي دكان .

وان أفضل فترة عندي هي الفترة التي أقضيها أمام واجهة مكتبة أو دكان بائع صحف فأتابع حركة النشر ، وأقرأ الاخبار السياسية الهامة ، ثم أعود الى التسكع من جديد ناسيا كل شيء ، وكأني أنزع دماغي من رأسي وأضعه في جيبي كي أريحه وأريح نفسي المجهدة وأعصابي المرهقة .

. . .

خرجت ، صباح أمس ، من البيت وجريت نحو مقهى « الهافانا » . فلم أجد فيه أحدا من الرفاق ... وليست تلك عادتهم ...! جلست وحيدا أتأمل الغادي والرائح وأناجي الوجوه الجميلة والقدود المشوقة ...! وأنفث الحسرات المحرقة ... وأطلق العنان لخيالي المراهق ...!

بيد أني ما لبثت أن شعرت بأن بقائي في المقهى وحيدا قد يسبب لقلبي المرض ، فقلت : أمشي قليلا ثم أعود ، فقد يأتي أحد أولئك الخبثاء لأقتل معه الوقت البغيض بلعبة الطاولة او الشطرنج ...!

. . .

قطعت الرصيف . وألقيت نظرة على مقهى « البرازيل » فرأيت الطاولات مشغولة بالجرائد والمجلات والمناقشات السياسية والادبية ، تابعت طريقي نحو « المكتبة العمومية » . ووقفت قليلا أمام الواجهة ، لم تتغير الكتب منذ أكثر من ستة شهور . ولقد حفظت أسماءها ومؤلفيها ، وحتى مكانها من الواجهة ...!

وسرت ...

ثم انحرفت يسارا ، بحذاء نهر بردى الذي يراد له أن يسقف في هذه الايام ...! ووقفت قليلا أتأمل الاولاد والمجندين الذين تجمعوا في « محل النيشان » لكي يظهروا براعتهم في تسديد الهدف أمام تلك المخلوقة الفظيعة التي لطخت وجهها بالاحمر والابيض فأصبحت تشبه لعبة مخيفة ...! ابتسمت قليلا ، وتابعت المشي نحو المرجة حتى وصلت الى محلات « أسدية » . فوجدت هناك حشدا كبيرا من الناس . لم آبه بهم ، في بادىء الامر ، لعلمي بأن هذه المنطقة من الرصيف تظل عامرة بالباعة الجائلين وبأصحاب « الغرض بليرة » ...! الا أنني سمعت صوتا يصيح هذه المرة : « بفرنكين » . فتساءلت : هل تدنت الاسعار ، في بلادنا ، بهذه السرعة ؟

زحفت ، نحو الحشد ، مع الزاحفين . وشرعت أبحث عن فجوة أندس فيها كي أرى تلك البضاعة التي يعرضها صاحب ذلك الصوت ، فلم أستطع الى ذلك سبيلا بسبب شدة الزحام ...

ـ بفرنكين يا سادة ... بفرنكين اثنين ... بدون صالون ... وبدون تعب ...! لا تزعج امرأتك ... لا تأخذ بدلتك للمصبغة وتخسر عليها ليرتين أو ثلاث ليرات ... نظف بدلتك بفرنكين ... اغتنم الفرصة ...!

. . .

استطعت ، بعد لأي شديد ، أن أجد لي مكانا أمام هذا الرجل الذي كان يصيح ، بصوته الاجش وبلهجته المصرية ، عارضا بضاعته . كان طويل القامة ، نحيف البنية ، أسمر البشرة مع اصفرار قليل ، بارز عروق اليدين والرقبة ... وعلى طول خده الايسر كانت ندبة واضحة . وكان يرتدي ثوبا طويلا كامد اللون ، ويضع رأسه الصغيرة طاقية بيضاء هربت من تحتها خصلة سوداء قاتمة من شعره وتدلت على جبينه العريض ...

كانت أمامه علبة صغيرة من الخشب مليئة بالقناني الصغيرة التي لفت كل واحدة منها بورق رقيق شفاف ، تناولت واحدة منها وتأملتها فاحصا . فانتبه الي الرجل وأدرك أني أريد اكتشاف سر هذه القناني . فأخذ قنينة أخرى ورفعها الى أعلى . ثم عاد الى خطبته التي كان قد حفظها :

ـ الدواء العجيب ... يزيل البقع بجميع أنواعها .. الدهن ... الحبر ... يا سادة .. فرصة عظيمة ...! افرض أن ابنك الصغير لعب بالمحبرة فانكسرت وسال منها الحبر على ثيابك ...! ماذا تعمل ؟ المصبغة لا تزيل الحبر ! هل تستغني عن ثيابك ؟... لا ... أبدا ... بفرنكين .... ترجع ثيابك كما كانت ...! أنا ما أطلب ليرتين أو ثلاث ليرات أو خمس ليرات ... أنا أطلب فرنكين ... يا اخوان ... افرض ان ابنتك الصغيرة تلعب على الطاولة ... ولوثت غطاءها بالدهن ...! دعاية لمدة يومين ...

الدواء العجيب أبيعه اليوم وغدا بفرنكين ...

وبعد يومين اذا فتشتم عني ... لا اكون في الشام ...! أنا كل اسبوع في بلد ...!

الدواء العجيب ... كل أسبوع في بلد ...

اغتنموا الفرصة ...! مدوا أيدكم الى جيوبكم ... وتوكلوا على الله !

. . .

لم يكن لسان ذلك الرجل يتكلم وحده ، بل ان كل شيء فيه كان يتحرك ...! كانت عيناه السوداوان تدوران بسرعة عجيبة في محجريهما ... وكانت يداه توزعان القناني السحرية على الاكف الممتدة وتتناولان النقود لتلقيا بها في حق صغير كان قد وضعه في ركن من أركان العلبة الخشبية ...! حتى ثوبه الطويل كان في اهتزاز مستمر ..!

انه شعلة من النشاط والحيوية ...!

والناس من حوله كانوا نماذج شتى يتدافعون حبا في الاستطلاع ، أو رغبة في الشراء ، أو لانهم لايعرفون ـ مثلي ـ ماذا يصنعون في وقت الفراغ ..!

منهم من يقف لحظة ليلقي نظرة عابرة ثم يستأنف طريقه . ومنهم من يقف ، في مكانه ، لا يتحرك عنه ، ومنهم من لا يحسب للعملة حسابا ، يسأل عن البضاعة المعروضة ثم يمد يده الى جيبه ثم الى البائع الغريب . وحين تصبح القنينة في حوزته يستدير دون ان يتفوه بكلمة واحدة .

ـ يا أخي ... والله العظيم ... حاجة غريبة ...! هذا الانسان البسيط يخترع دواء لتنظيف الثياب من بقع الحبر بينما تعجز المصبغة السورية عن ذلك ؟

ـ يا سيدي ... يجعل سره في أضعف خلقه ...!

ـ أنا والله ... لا أصدق ذلك ... تصور ... بدلتي الرمادية تعرفها ؟ قبل أربعة أيام أخذتها للمصبغة لازالة بقعة حبر صغيرة منها ...! البقعة الصغيرة صارت كبيرة يا رجل ...!

ـ جرب هذا الدواء العجيب ...

ـ نعم ... أجربه ...

كنت استمع الى حديث هذين الرجلين ، وأتأمل الاخرين الذين يتحلقون حول ذلك الانسان ، وأتساءل : هل حقا تحوي هذه القنينة كل ذلك السحر ؟ ان ثمن القنينة الفارغة وحدها اكثر من فرنكين !!

ولكن ... ألا يجوز أن يكون صادقا ؟

الا أنني أعود فأنظر الى هيئته ...! ان منظره

لا يوحي بالثقة ...! فهو يرتدي هذا الثوب الطويل الكامد ويبيع الناس دواء لتنظيف الثياب ؟ ألا يجدر ؟ أن ينظف ثوبه قبلا ؟ حقا ... ان الانسان معضلة لا يمكن معرفة شيء عنها ..! لا بد ان تكون خلف هذا الرجل قصة فيها امرأة رخيصة تسيطر عليه وعلى ماله ...! أو ربما كان ضحية الخمرة تمتص نقوده وصحته ، وتدفعه الى ابتكار هذه الوسيلة للكسب .. وقديما قيل : الحاجة أم الاختراع ...

وأعادني الى دنيا الواقع بصوته الاجش :

ـ يا الله ... ياشباب ... بفرنكين ... القنينة العجيبة ... الدواء السحري ... لا يؤثر في القماش ... لا يغير اللون ... انظروا ...

ورفع دفترا ، قلب منه صفحة بيضاء ، أراق عليها شيئا من الحبر الازرق الفاتح ، ثم تناول قطعة صغيرة من القطن ، وضعها على فوهة قنينة مفتوحة ، ثم مسح بها صفحة الورق ، فاذا بها تعود بيضاء كما كانت ، ثم حمل الدفتر بيده الى أعلى يعرضه على الحضور ، وصاح بصوت مسرحي مؤثر :

ـ هل بقي الحبر ؟ لا ...! أين ذهب الحبر ؟ أزاله هذا الدواء السحري ... العجيب ... المدهش ... يا الله ... بفرنكين ... اشتر بدلتك بفرنكين .!

فازدادت حركة الايدي تلح طالبة البضاعة ، ودفعتني تلك العملية ، عملية ازالة الحبر من الورق ، الى أن أدس يدي في جيبي ، بصورة لا ارادية ، لاخرج منه ربع ليرة وأشتري قنينتين بدلا من واحدة ...

لست أدري هل أثر في صوته ، أم تمثيله ، أم ما تراءى لي من رقة حاله ، أم انني قد انسقت الى ذلك متأثرا بقانون التقليد والاستهواء ...

المهم هو انني بررت ذلك بأن عندي قميصا صيفيا جديدا اشتريته بخمس عشر ليرة ... لكنه تلوث ، في الاسبوع الماضي ، حين وضعب في جيبه قلم حبر ناشف ... فسال منه شيء من الحبر على صدره ...

ذكرت ذلك القميص ، ومددت يدي الى البائع بقطعة النقد ..! وهنا رأيته مذعورا قد تغير لونه ، وأصبح كالقط الخائف الذي حوصر في مأزق ، وهو يحاول جاهدا الافلات منه ...

اشرأبت أعناق الرجال . والتفت الى الخلف . فرأيت اثنين من رجال الشرطة طويلين قاسيي النظرات . كانا يقفان بالقرب مني . فتململت قليلا كي أفسح لهما المجال .

قال أحدهما بلهجة آمرة وهو يتأمل الحضور والبضاعة ويزور البائع ببصره :

ـ تفضل معنا ... يا حضرة الدجال ...! تبيع للناس الماء وتزعم أنه مزيل للبقع ..؟ يا الله ... تحرك ...

فتحرك الرجل ذليلا بعد أن حمل بضاعته ... ورافق رجلي الامن ...

. . .

كانت قطعة النقد لا تزال في يدي ، أعبث بها بين أصابعي ، وأنظر أمامي ، نحو ذلك الانسان الذي كان ، قبل لحظة ، كتلة من النشاط والسعادة ثم أصبح ذليلا مطاطىء الرأس كالكلب المذنب حين يتبع صاحبه .

وحين غاب عن عيني عدت الى الجمع الذي كان محتشدا فوجدته قد تفرق ، يبحث كل واحد من أفراده عن حادثة جديدة يروح بها عن نفسه ، ويقتل بها وقت فراغه ، ويناقشها ثم يحكم عليها ثم يتندر بها أمام أهله وأولاده وأصدقائه ...

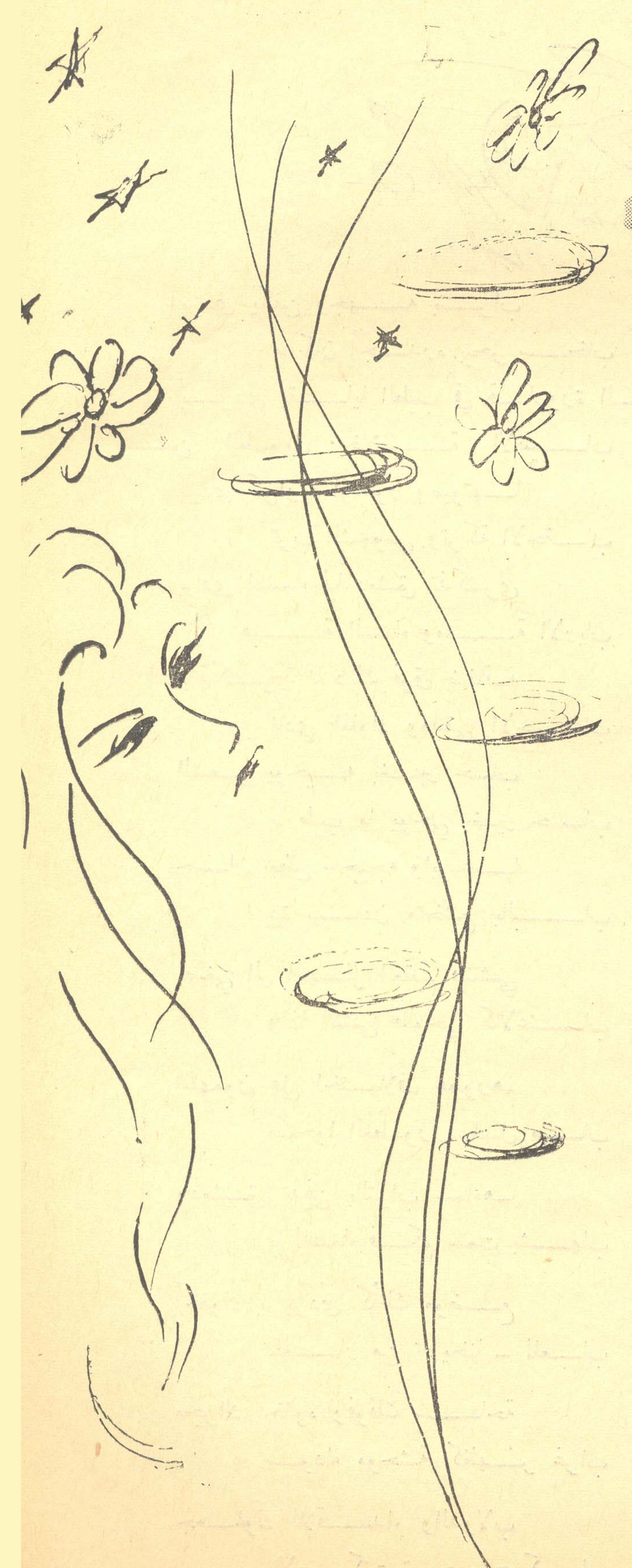
تحركت كي أعود الى المقهى . فرأيت أمامي شيخا عجوزا فقيرا ضئيل الجسم ، أصفر الوجه ، أبيض الشعر ، راجف اليدين ، كان واقفا يلهث من عبء السنين مستندا على جدار الصيدلية المجاورة .

فاتجهت نحوه . ودسست ربع الليرة في يده . ثم قفلت عائدا الى المقهى .

نجي السراب

توزيع

شعر : محمد جنيدي

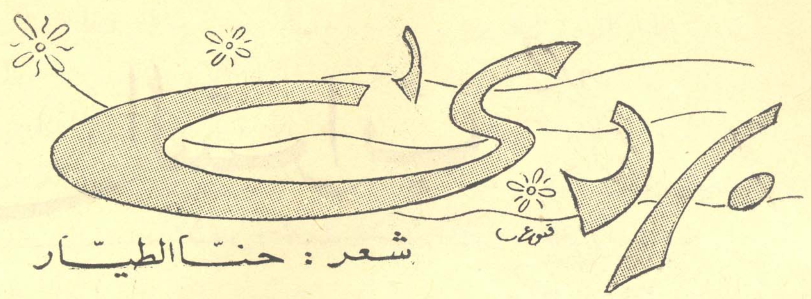


ويك يا داء خل عني فما جرحي بنبع ، وما فؤادي بقاع
ويك يا داء خل عني فما كبري بسهل ، ولامستطاع
خل عني أر الحياة ، كما كنت أراها ، بحيرة لشراعي
يغرف اللجة العريضة مجدا في ، ويلتف بالرياح ذراعي
وصواري في مدى ملعب الشمس يفصلن من سناها قلاعي
والغواني المدللات رغابي يترشفن من شفاه الشعاع

. . .

ويك ياداء كم رقصت على جرحي ، وأثقلت هيكلي المتداعي!
لم تزل تملأ الكؤوس لعيني من سلاف الدجى وخمر الضياع
ولو أن الشفاه تنسى لانستني لياليك صبوتي ويراعي
وهواي اليتيم ، والقبلة الاولى ، وخفقات قلبي الملتاع
كلما طغت حولها سكت الجرح ، وقرت على اللظى أوجاعي
عشت عمري على السراب ولم أظمأ ، ونديت بالسراب بقاعي
فاذا كل زهرة ثغر طفل   واذا كل قصبة فم راع
ونجي السراب لا يكبر الداء اليه ، ولا تطول الافاعي
ويك ياداء خل عني ... فما كبري بسهل ... ولامستطاع

محمد جنيدي



شعر : حنا الطيار

بردى يكفن وجهه بتراب
ما كان أجدره ببحر سخاب
بردى بقايا الطيب في قارورة الز
من الطويل خلاصة الاطياب
بردى كراوية الدهور وصوتها
ترب الشموس وتركة الاحقاب
بردى السماء فيا دمشق تذكري
هبة السماء ومنة الارباب
وتذكري نا ديك فوق ضفافه
نادي الملوك وملتقى الاحساب
الشعر يوحيه بغير حساب
يا طيب ما يوحي بغير حساب
حسان بعض حجيجه وابو عبا
دة سادن متخشع بالباب

يصغي الى النهر العظيم فينتشي
واذا انتشى فالوحي كالاعناب

الملهمون على اختلاف عطورهم
مسحوا العطور بسلسل منساب

ودمشق تدفن بالتراب سماءها
يا للسماء فكم سمت بشهاب

أخفوك يا بردى كأنك موضع
للعار من تاريخنا – للعاب

مجراك أخفوه وفوقك ساحة
سوداء موحشة كظهر غراب

جعلوك للاقدام والدولاب
بالامس كنت تموج موج كعاب

المرجة الصلعاء تندب ربها
تبكي على المدفون في سرادب
تبكيك تبكي الضفتين وموحشا
في الضفتين كموحش بيباب
شوقي انهض من ترابك واستمع
للنهر يشكو قسوة الاحباب
ما اكرموه ولم يراعوا عهده
بل غاب مائجه ببطن تراب
لو يعقلون لماج فوق قلوبهم
ولغل فوق منابت الاهداب
لو يعقلون لاخملوا شطآنه
والدوح سكران بغير شراب
يهتز منضور الظلال كأنه
خود تمايل في قشيب ثياب
في الجسر في فكتوريا لي موقف
يا للمواقف ثائر الاعصاب
أغمضت عيني كي تغيب ولا ترى
ما حل بالتاريخ من اغضاب
ونبا المكان فخلت اني واغل
في غير خلاني ولا أصحابي
أأشك في أرضي وتحملني الثرى
اني لمتهم بغير كذاب
مجد كجمد الشمس الا انه
ينساب ذائبه على التوراب
يرضي من التاريخ حتى عاره
بله المضيء كخالص الاذهاب
اني سألت الله فيما أصلحوا
ايجوز اصلاح بغير ثواب

أبو حيان التوحيدي

بقلم: يعقوب فرام منصور

طالما لمحت عيني كتاب (مثالب الوزيرين)[1] لابي حيان التوحيدي ، اقتنيته بلهفة الولهان ، وطالعته برغبة الحران ، واني اذ أقر بالمتعة التي حصلت عليها ، والفائدة التي اكتسبتها من مطالعتي هذا الاثر الفريد في بابه ، ينبغي أن أعرب عن شكري الجزيل المتواضع لمحققه الدكتور ابراهيم الكيلاني على الجهد الوافر الذي بذله لاخراج هذا الكتاب ، وجعله في متناول القارىء العربي ، وعلى الشروح والتعليقات التي حفل بها الكتاب .

لكني لم أستطع اخفاء تأثيري وامتعاضي حينما بلغت الصفحة السادسة والعشرين بعد المائة ، فقرأت تعليق الدكتور الكيلاني : « أبو الحسن أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي فيلسوف متهم بالزندقة ، وهو أحد زنادقة الاسلام الثلاثة ، أبو العلاء المعري وأبو حيان التوحيدي ... »

ان تأثيري وامتعاضي لم يخلوا من دهشة واستغراب ، ذلك أن المحقق الفاضل ، كما يقول في مقدمته ، من المولعين بأبي حيان التوحيدي ، ومن أشد المتتبعين لآثاره حماسة : « ... وقد ظللت زمنا أتشوق للعثور عليها حتى عددت ذلك من أمنيات العمر الى أن قيض لي القدر أحد المستشرقين وهو السيد مارك بيرجه ( ) الذي عثر عليها مصادفة ، وكان يعرف مبلغ تعلقي بأبي حيان وحرصي على نشر آثاره ... الخ . »

ووجه الدهشة والاستغراب في الامر يعود الى اقرار المحقق بالولع والحماس الذي يكنه نحو المؤلف وآثاره .

فالولع والحماس يعنيان الحب والشغف ، ومن صفات المحب والشغوف ، الدفاع عن المحبوب في مواطن الضعف المحيق به والتهجم عليه ، والدفاع يستلزم الانصاف ، والانصاف يستوجب الصدق ، والصدق يستوجب التحقيق والتشكيك ، والتحقيق والتشكيك يكشفان عن جلية الامر ، ودخيلة الفرد ، وواقع الحال ، ويزيحان الظنون ويهتكان الحجب .

فقد آلمني كثيرا أن يدمج المحقق ـ بشرحه ذاك المجرد من أي احتراس وتحفظ ـ أبا حيان التوحيدي في عداد الزناديق في الاسلام ، وألمي هذا ما كان ليقل عما هو عليه فيما لو كنت من معتنقي دين الاسلام . واني بكلمتي هذه أدافع عن أبي حيان دفاعا قويا مخلصا كما لو كنت فردا مسلما ، فالزندقة في الاسلام هي نفس الزندقة في النصرانية ، ذلك لان العقائد في الاديان السماوية متفقة في الاصول والجوهر ، ولا تناقض بينها من جهة وحدانية الخالق والثواب والعقاب والمعاد والنشر . ودفاعي القوي هذا وليد وثوقي الراسخ أن أبا حيان لم يتناول ، في أي كتاب من كتبه ، أصول الاسلام بأي نقص أو نقص أو ابطال . ولو كان ثمة شيء من هذا القبيل ، لأورده الناقدون والطاعنون بالنص والفص . لكن ليس هناك شيء من هذا .

اني أنكر هذه التهمة الشنيعة أن تلحق أبا حيان اذ أنها في الحقيقة وليدة ضغائن الحاقدين وحسد الحساد المعاصرين ، ومنهم الصاحب ابن عباد اللئيم الطبع الخسيس النفس ، كما أنها نتيجة دس الدساسين من

---

(١) طبع دار الفكر ـ دمشق ١٩٦١

الناقمين على الفلسفة والمنطق كابن فارس ، وتعصب المتزمتين وجهل الجهلاء من المعاصرين واللاحقين . ولو كان الجهلاء من المعاصرين واللاحقين . ولو كان الامر كما يقول المتهمون والطاعنون ظلما وبهتانا ، لكانت زمرة الزنادقة في الاسلام تمثل حشدا كبيرا : منهم من سبق أبا حيان ، ومنهم من عايشه ولحقه ، ولكانت الزندقة تلصق بكل من اشتغل بالفلسفة والمنطق ـ أشرف وأسمى العلوم . وعلى هذا يترتب أن يحشر في رهط الزنادقة : أبو سليمان المنطقي السجستاني ـ أستاذ أبي حيان ـ وأبو الحسن محمد بن يوسف العامري النيسابوري المنطقي من أكابر فلاسفة الاسلام ، وأبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجراح أحد أئمة عصره في المنطق والفقه . وعلى هذا يترتب أن يكون شيوخ المعتزلة وأئمتهم من الزنادقة ، كما يكون أساتذة هؤلاء الاسلاميين من الاغارقة : أفلاطون وأرسطو وغيرهما على رأس الزنادقة من غير المسلمين ، بينما الواقع يثبت أن هؤلاء الفلاسفة الافذاذ اعتقدوا بآله واحد وهم في صميم البيئة الوثنية المؤمنة بتعدد الآلهة . كما يجب أن يكون ، قياسا على ذلك ، كل الفلاسفة والمناطقة المسيحيين والمشتغلين في اللاهوت من الزناديق في النصرانية !

فهل يرضى الدكتور المحقق الجليل أن يعد كل هؤلاء في عداد الزنادقة ؟! لا اخال ذلك .

قال حسن السندوبي في مقدمته لكتاب (المقابسات) في معرض الدفاع عن أبي حيان التوحيدي : « ولا أدري كيف يجيز انسان لنفسه الطعن في دين امريء أو رميه بأقبح الشنع دون أن يقيم على ذلك ضجة قاطعة أو برهانا مبينا . مع أن هذا من أشد ما يعرض له مسلم في دين الله ، ومن أكبر الكبائر عند الله . وهذه كتب التوحيدي وآثاره ليس فيها ما يشير الى ضعف في العقيدة ، أو ما يدخل أقل شبهة على استقامة الطريقة ، وطهارة القلب من دغل الزندقة أو الالحاد في الدين . وقد وقع الحافظ الذهبي فيما ائتفكه ابن فارس وغر به ، فقال عن أبي حيان ، من غير روية ولا خوف من الله : كان عدو الله خبيثا ، وكان سيء الاعتقاد . وكذلك ارتطم في هذه الورطة أبو الفرج بن الجوزي ، فقال في تاريخه : زنادقة الاسلام ثلاثة ـ ابن الراوندي ، وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء المعري . قال : وأشدهم على الاسلام أبو حيان لانه مجمجم ولم يصرح . »

وفي حين يدحض ابن السبكي دعوى الذهبي ويزيفها ، يقول حسن السندوبي : « أما ابن الجوزي ، فليس لنا الا أن نقول : وا أسفاه على تلك العقول التي أعدت لخدمة الحقائق ، فأحالها التعصب حربا على الحقائق ! وا أسفاه على رجال نصبوا أنفسهم لهداية الخلق الى الطريق المستقيم ، وابانة محاسن الاسلام ومفاخر الدين ، فقطعوا الطريق الى الله ، وشوهوا جمال دين الله ! أرأيت كيف يتعرض ابن الجوزي لما لم يجزه له العقل ولا الدين ولا الشرائع ، فتسرب في طوايا الضمائر ، وتولج خفايا القلوب ، واستخرج من سواه ! لماذا ؟ لانه لم يقل شيئا ، ولم يصرح بشيء !... ألا ساء ما يحكمون . »

لكن ، هل صحيح أن أبا حيان لم يقل شيئا ولم يصرح بشيء ؟ وماذا كان عليه أن يقول أكثر مما قال ، ويصرح أكثر مما صرح ، وهذه آثاره ناطقة عنه ؟! يكفي أن أورد رأيه في الدين والخلق والعلم كما جاء في كتابه (مثالب الوزيرين) : وأركان الحياة وأمهات الفضائل وأصول مصالح الخلق في المعاش والمعاد ، وهن : الدين والخلق والعلم . بهن يعتدل الحال ، وينتهي الى الكمال ، وبهن تملك الازمة ، وينال أعز ما تسمو اليه الهمة ، وبهن تؤمن الغوايل ، وتحمد العواقب لان الدين جماع المراشد والمصالح ، والخلق نظام الخيرات والمنافع ، والعلم رباط الجميع ، ولان الدين بالعلم يصح ، والخلق بالعلم يطهر ، والعلم بالعمل يكمل ، فمن سلم دينه من الشك واللحاء ، وسوء الظن والمراء ،

وثبت على قاعدة التصديق بمواد اليقين الذين أقر بـه البرهان ، وطهر خلقه من دنس الملال ، ولجاج الطمع ، وهجنة البخل ، وكان له من البشر نصيب ، ومن الطلاقة خط ، ومن المساهلة موضع ، وخطي بالعلم الذي هـو حياة الميت ، وحلي الحي ، وكمال الانسان ، فقد برز بكل فضل ، وبان بكل شرف ، وخلا عن كل غباوة ، وبريء من كل معابة ، وبلغ النجد الاشرف ، وصار الى الغاية القصوى • »[٢]

كما أردف قائلا : « ولم أذكر لك العقل في هذا التفصيل وهو أولهن ، وبه تم آخرهن ، وعليه مجرى جميع ما افتن القول به ، لانه موهبة الله العظمى ، ومنحته الكبرى ، وبا بالسعادة في الاخرة والاولى ••• »[٣]

لو لم يقل التوحيدي غير هذا القول ، ولم يصرح سوا هذا التصريح ، لكان ذلك شافيا لمن يروم الحكم عليه ، والكشف عن طويته ، أفما كان قمين بالدكتور الكيلاني ، وهو محقق الكتاب ، أن يتذكر قول التوحيدي الآنف الذكر قبل أن يصدر عليه ذلك الحكم الجائر ؟ أيستشف من هذا الكلام زندقة ؟ أيمكن الحكم على صاحبه بالتفكير ؟

مسكين أبو حيان ! لقد أضطهد وحورب في مماته كما في حياته ، فذاق مر العيش وقل أنصاره ، وندر عارفو فضله • وهذا ابن النجار ، يقول عنه : « كان أبو حيان فقيرا صابرا متدينا ، وكان صحيح العقيدة • » [٤]

أما الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، في دراسته[٥] لابن حيان التوحيدي ، فانه يرى أنه من الجدير بالباحث أن يتردد في صحة نسبة القول في زندقة أبي حيان لابن فارس ، اذ يظن أنه قد طرأ على الاسم الحقيقي شيء من التحريف والتصحيف ، حتى نجد في مؤلفات أبي حيان ما يدل على الجبر المعطل ، أو الطعن في الانبياء والشرائع ، أو حتى نقف على نوع الصلة التي كانت بين أبي حيان وابن فارس ، فيقول : « يبدو من مؤلفات أبي حيان أن الحال بينه وبين ابن فارس كانت على شيء كثير من العداء ، وقد هجاه في كتابه (الامتاع والمؤنسة) ، ووصفه بأقبح الاوصاف ، محرضا عليه الوزير ابن سعدان ، فلم لايكون طعنه في أبي حيان صدى تلك الملحمة بينهما ؟ »[٦]

وابن فارس هذا ، استاذ ابن عباد قبل وزارته ، وصديقه الاثير بعد الوزارة ، عرف عنه جمود في الرأي وكره للفلسفة ، حتى أنه فضل عليها علم العروض ، فقـال : « علم العروض الذي يربو في قيمته ودقتـه واستقامته كل ما يتبجح به الناسبون أنفسهم الى التي يقال لها الفلسفة • »[٧]

أفلا تتوقع مـن ابن فارس ، وهـو العليم بمنزلة التوحيدي في الفلسفة ومقامه بين أعلامها ، وتهالكه في نشرها وهو صاحب (المقابسات) ، أن ينال منه ويطعن في دينه وعقيدته ويحط من شأنه ؟ أفلا تكون العداوة وكتاب (مثالب الوزيرين) الدافع الحقيقي للنيل من علم معاصر ، ومؤلف قل ضريبه ، وللحط من سمعته ، وتلطيخ شهرته وثلم مكانته ؟

أفما كان من الاجدر بالمحقق أن يلتفت الى كل هذا ، قبل أن يصدر حكمه الجائر في تعليقه المذكور ، وكأنه أحد الذين عاصروا ابن الجوزي ، وخالطوا ، وزاملوا أبا الوفاء ابن عقيل البغدادي ؟

ان الذي ألتمس من الدكتور الكيلاني هو ازالة هذه التهمة عن أبي حيان التوحيدي وذلك بحذف اسم أبي حيان من تعليقه ، موضوع البحث ، اذا ما يسر للكتاب أن يطبع طبعة ثانية • وفي الوقت الذي أرى أن ادماج المعري في عداد الزناديق تهويل ومبالغة وســوء فهم ، لا أستطيع أن أدلي بشيء عن الراوندي ، لجهلي التام مذهبه وحقيقته • الا أن الدكتور عبد الرزاق محيي الدين يرى ابن الراوندي ملحدا لاقراره بقدم العـالم

(٢) مثالب الوزيرين – ص ٢١
(٣) نفس المصدر – ص ٢١ – ٢٢
(٤) المقابسات – ص ١٦
(٥) طبع مكتبة الخانجي ١٩٤٩

(٦) ص ٦٢ – ٦٣ (٧) ص ٦٣

ولاحتجاجه على الرسل ، ولبرهانه على ابطال الرسالة ، ولطعنه في النبي ، بينما يقول في أبي حيان : « كان أبو حيان حنفيا مسلما ، ما ند عن شيء من أصول الاسلام العامة ، وتهمته بالالحاد لم تثبت من حال أو مقال ، لهذا أراني في غنى عن التدليل على ذلك ، ومحيلا قارئي الى ما انطوت عليه مؤلفاته من روح اسلام قوي . أما طعنه في الصحابة والسلف ـ ان صح ، ولا أراه صحيحا ـ فلا يضر في جوهر عقيدته الاسلامية .»[٨]

وختاما لبحثي هذا ، أورد كدليل دافع آخر على ايمان الرجل الراسخ ، وصحة عقيدته الدينية ما قاله في ختام كتابه (مثالب الوزيرين) : « وأدعو ها هنا بما دعا به بعض النساك : اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبتذلها بالاقتار ، فنسترزق أهل رزقك ، ونسأل شرار خلقك ، فنبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من دونهما ولي الاعطاء ، وبيدك خزائن الارض والسماء ، يا ذا الجلال والاكرام . »[٩] وبهذا الدعاء ذاته قد ختم كتابه المشتمل على رسالة في الصديق والصداقة ، ورسالة في العلوم ، وهو ـ كما يلحظ القارىء ـ دعاء فواح بالايمان والقناعة والرضى ، حافل بالرفعة والكرامة . ومن يدري فقد يكون الطاعنون والمغترون أنفسهم لم يردوا نظير هذا الدعاء في لياليهم ولا ختموا بمثله مؤلفا من مؤلفاتهم .

لقد صغت بحثي هذا رفعا لراية الانتصاف للمظلوم ، وخدمة للحقيقة المجني عليها ، وايثارا للعرفان على الجهالة والتعصب ، وجهضا للزور والبهتان عن الابرار والطيبين .



(٨) ص ٧١ (٩) ص ٣٦٢

من زاويتي

بقلم نجيب حوّا

نقادنا ومهزلة النقد !

في كلمة للاستاذ « كميل سعادة » نشرتها جريدة « الزمان البيروتية » جاء فيها : « كثيرون منا ينزلون ساحة النقد ويتعرضون للآثار الادبية محاولين الحكم عليها ، ولكنهم ينطلقون من حيث لو كانت لهم ثقافة فنيةنقدية ، وعلمبما رآه النقاد وعلماء الجمال ، وكثيرون من وهبوا ذوقا فنيا رفيعا ولكنهم لنقص في ثقافتهم الفنية يحجمون عن التعرض للادب بالنقد والتقييم خوفا من الاخفاق وتهربا من المسؤولية ، وكثيرون أيضا يرون النقد تقريظا أو قدحا وذما فقط ... ولا يرعوون عن الاساءة الى أنفسهم رغم ما يسمعونه ، وهؤلاء في نظري لو كان لهم اطلاع على ما خلفه أصحاب المدارس في النقد والتقييم لشعروا فعلا بخطأهم وعرفوا ان الكلمة على الادب حرام أن تلقى كما يلقى ـ زهر النرد ـ أو سيرا مع عاطفة ما » . الى هنا ينتهي كلام الاستاذ كميل .

وبعد هذا . أعتقد أنه من حقنا أن نتساءل : أين يقف أدباؤنا النقاد ؟ وعلى أي نقطة يرتكز النقد في بلادنا ؟؟.. أغلب الظن ان معظم نقادنا (الكرام) يلتقون مع الفئة الثالثة .. لانهم ـ كما أرى ـ ما برحوا يزيفون العطاء الادبي ، ويحطمون كل ما يملك من ثورة وفكر في سبيل حزازات ذاتية ، وأنانيات شخصية . لقد بهتت معالم النقد الادبي ، وضاعت أصالته ، واختفت وراء قناع من التملق ، والرياء الكاذب ، حتى غدا هيكلا لا روح فيه . أنا أؤمن بأن الناقد صديق للشاعر وللكاتب .. وأن الفنان لا يستطيع أن يستغني عن الناقد أبدا .. لان الناقد هو الذي يرسم طريق النقد الفني بما يملك من علم ومعرفة .. وهوالذي يشير الى مواطنالفتنة والجمال في النتاج الادبي ، بما يملك من ذوق خطر ، وادراك جذري حساس . والناقد الحق عليه ـ قبل أن ينزل ساحة النقد ـ أن يتسلح **بثقافة عميقة ، ومعرفة شاملة** ، حتى يشرح العمل الادبي بحرارة وصدق ، بعيدا كل البعد عن الممالأة والمداهنة على حساب الادب الجريح .

ان أديبا يسود ست صفحات في الحديث عن كتاب لم يقرأه أبدا ـ باعترافه هو ـ هو انسان يرتكب جريمة نكراء .. ويسيء اساءة كبيرة للنقد الادبي ، وللعطاء الفكري ويطعنه في الصميم . وان ناقدا آخر يبيع قلمه ، لدراسة كتاب أدبي جديد ، ووصمه بانه فتح جديد في عالم الادب .. أو ذمه والهبوط به الى أدنى درجات هذا الوجود .. هو انسان **فاشل .. وأديب مدع ..** وناقد بلا ضمير ـ أدبي على الاقل ـ ، فمتى نرعوي عن كل هذا .؟ ومتى نفهم رسالة النقد .. ودوره الخطير في بعث الحركة الادبية وتنشيطها ؟ ومتى نبتعد عن اطلاق الاحكام الاعتباطية ، فنمدح من نهوى لغاية حبيسة ، خبيثة في صدورنا ، ونشتم من نكره ، دون اعطاء أية قيمة للعمل الادبي .. أو حتى التحدث عن مضمونه وغايته !

وأخيرا ... علينا أن لا ننسى ما قاله « بنديتوكروتشه » : « ليس في وسع اي ناقد أن يخلق فنانا من انسان غير فنان ، كما أنه لا يسع أي ناقد أبدا أن يهدم أو يصرع فنانا حقيقيا أو يمسه بأذى ولو خفيف[1] » !.

---

(١) « فلسفة الفن » تأليف بنديتوكروتشه . ترجمة : سامي الدروبي

نظرة في الشعر الحديث

وفي مجلة « الدنيا الجديدة » تحدث الشاعر نزار قباني عن الشعر المنثور فقال : « الشعر هو الشعر ، والنثر هو النثر ، وكل تسمية يجب أن تبقى محتفظة بحدودها ولكل كلمة من الكلمتين مدلول واضح ومحدد . فالنثر تعبير مطلق ليست له قواعد مقننة ، في حين ان الشعر يقوم على أسس لا يمكننا أن نتجاهلها لذلك فان اطلاق مثل هـذه التسميات كالشعر المنثور والقصيدة النثرية ..



ليست سوى نوع من الخلط .. وتمييع المعاني الحقيقية للكلمات ، وكما أن الخشب لا يمكن ان يستحيل الى معدن .. فان النثر لا يمكن أن يستحيل شعرا بمجرد أن ننفخ عليه » .

كما قال نزار قباني في « جريدة الناقد » : « الشعر المنثور في نظري طفل بلا نسب ... مخلوق حائر بين الذكورة والانوثة » .

هذا ما قاله نزار قباني . فمـا هو رأي أدبائنا وشعرائنا أصحاب الشعر المنثور ؟؟.

مأساة أدبائنا

وحول « الادباء وصدر الدولة » كتب الاستاذ « رياض حنين » في الجريدة اللبنانية ما يلي : « البلدان المتقدمة في معارج الرقي .. ومدارج الحضـارة تحل مشكلة الاديب الحق ، فتحله في أعلى مرتبة .. وترعاه ، وتكافئه . وتحفزه على الكتابة ، وتضمن له عيشا كريما، تفيده وتستفيد منه ، لا تتركه عرضة للعوز ، ولا نهشا للفاقة ، ولا تضطره لان يمتهن عملا قد يليق به احيانا ، وغالبا ما لا يليق ، ليتمكن مـن مورد يؤمن به بلغ الحياة » . انتهى كلام الاستاذ رياض .

أما حكاية « العنف » بكل ما تحمل هذه الكلمة من قلق والتي يحياها أدباؤنا .. فهي حكاية مؤلمة . دامية الحروف .. متوترة الالفاظ . ان الواقع الاسود الذي يلون حياة معظم أدبائنا هو الذي يجعلنا نحيا حياة عطاء شحيحة مرة . وهو الذي يجبر أدبائنا للانصراف عن الانتاج الادبي والفكري وجعله على هامش حياتهم . وبهذا نكون قد ساعدنا على خنق أديب كان من الممكن أن يكون سفيرا لنا في عالم الادب . فلو أن الدولة مدت يد العون لهذا الاديب وساعدته ، ووفرت له ما يحتاجه ، لربحت بهذا انسانا يملك عطاء فكريا لا يحسـد .. وزخما حضاريا لا ينفذ .

أما أدباؤنا الشباب .. فما فعلت الدولة للمبدعين منهم ؟ هل ضمنت نشر مؤلفاتهم ؟ هل حاولت التعريف بهم والاخذ بيدهم ؟ هل مدت يـد المساعدة لهم ؟؟ ما يحزنني ... أن تبقى هذه لاسئلة بدون جواب !.

وشيوخ الادب ، اولئك الـذين خطوا لوجودنا سطور حياة جديدة .. ماذا فعلت الدولة لتشعرهـم بقيمة وجودهم .؟ وقيمة عطاءهم ؟ أم ان الدولـة الكريمة تنتظر وفاتهم لتقيم لهم حفلات تأبين ، تسـيء اليهم اكثر مما توفيهم بعض حقوقهم .! لقد فقدنا اكثر من أديب واكثر من انسان ، دون ان تلتفت الدولة له .. وتوفيه حقه .. فمتى نقدر قيمة الاديب ؟؟.

دمشق ـ نجيب حوا



انها نفثات نفس آسية •• زهرة صغيرة أضعها على ضريحك الكبير ، وأهديها روحك السامية ، تطل من عليائها يوم ذكرى رحيلك الابدي •• في الرابع عشر من شهر ايلول لثلاث خلون من السنين ••

سحب المرارة تغلف حياتي ، وضباب الاسى يلف روحي ، والذكرى تعود بي الى يوم ، مثيل هذا ، طوته الايام ، وحملته الاعوام في دورتها الابدية ••

في مثل هذا اليوم ، كان اسمي الهاتف الوحيد ، ينطلق عبر الفم المطبق •• من طرف اللسان الطلق الفصيح الذي عمر المجالس زمنا ، وأسهم في اذكاء روح الثورة العربية ابان اشتعالها طويلا •• صفحات بيض ناصعات من حياة أربت على السادسة والثمانين ، تقضت ما بين جهاد مقـــدس في سبيل الوطن حينا ، وجهـــد متواصل في سبيل ارساء الاسس المتينة لبناء الاسرة احيانا •• سنين طوال في طرق أبواب المعرفة ، في التهام بطون الكتب ، واستقاء الثقافة من ينابيعها المختلفة ، في سبيل الوصول الى المعرفة الصحيحة التي لا تشوبها شائبة ••

وفي الامسيات الهادئة من ليالي الصيف الجميلة •• حينما كنا نلهو صغارا ، كان ما يثير فضولنا ذلـك الركن القصي يسكن اليه الاب الكريم •• يلتف بعباءته الصيفية الرقيقة ، يعيش مع الكتاب ، شدت عيناه الى السطور لا تريم ••• تجول بينها ، لتتخطى الصفحـات تلو الصفحات ، تبغي المعرفة التي هي زاد العباقرة ، وغذاء الافذاذ •• فيدفعنا الفضول الى التحلق حوله هاتفين ، مطالبين بقصة يرويها ، نبعد بها ملل اللعب وسأم اللهو عن نفوسنا الصغيرة ، فيدع الكتاب جانبا ليحكي لنـــا قصصا • يا لهاتيك القصص ما أعظمها ممن كان يحفظ في الخامسة عشرة من عمره ما ينوف عن ألفي بيت من شعر الفحول ، يتغنى بها أيامه ولياليه ، ويقضي بترديدها ساعات لهوه وصباه •• هـذه القصص تنشيء النفوس الصغيرة الغضة ، وتضع اللبنة الاولى في بناء ثقافتها لترسم لها طريق الحياة ، وطريقة فهم الحياة ••

هاتيك القصص لم تكن كما تعوده الاطفال في كل صقع ودار ، تحكي الخرافات والاساطير • لا •• لم تكن كتلك بل كانت فوق مستوى عقولنا وأعمارنا ، نطاول العمـر والعقل لنطالها ، ويبسطها الاب الكريم ويوضحها في بيان سهل لتجد سبيلها الى نفوسنا الصغيرة وعقولنا الغضة •

وكان النتـاج الطبيعي لهـذا الجهد المزدوج أن نضجنا قبل الاوان ، ذلك النضج الثقافي والوعي النفسي والتفتح العقلي الذي يجعلنا نقرأ للمنفلوطي وجبران وطه حسين وشوقي وغيرهم في الثالثة عشر من سـني حياتنا •• ويمكننا أن نعوج على كتاب الاغاني قبيـل الخامسة عشرة ، لنحفظ أبياتا لا أزال ارددها الى اليوم ، ودموع العرفان تنهل من عيني لاحسن أب عرفته الدنيا ، جعل مكتبته العامرة المرتع الفسيح نجوبه لبعض ساعات من طفولتنا وأخرى كثيرات في بدء مرحلة شبابنا ، يقرعنا اللوم اذا فاتنا قراءة أمهات الكتب مثل « رسالة الغفران »

لابي العلاء ونحن دون العشرين من عمرنا .. حتى نظم أوسطنا الشعر قبيل الخامسة عشرة من عمره ، وانتظم عقد الادباء والشعراء بعيد العشرين بقليل .. وهكذا نشأنا جميعا نتذوق الادب كل حسب طريقته ، يعيشه في كل حرف صاغته يد شاعر .. وكل كلمة أبدعها بيان أديب . وتلك لعمري هي الحياة .. شربناها صافية عذبة من نبع اللغة الاصيلة السليمة التي قلما كان يتحدث بغيرها ، والتي كانت أولى ما وفيناه من أوائل الكلم ..

ابتي .. لن أوفيك حقك أبدا مهما تكلمت ، فالمعاجم تفتقد الكلمة التي تعبر عن حقيقتك الكبيرة جدا ، العظيمة جدا ، الرائعة ، العملاقة .. أتراك كنت عالما حقيقة أمرك واختلافك عن الاخرين .. أو ترانا قادرين ان نعلن للناس أجمع حقيقتك الكبيرة .. لقد كنت خير أب وجد في دنيا البشر ، ولعلي مستطيعة اذا ما تقدم العمر أن أترجم الاب العظيم وأرسم بعضا من نواحي حياته الكبيرة الكريمة .

ايه يا أبتي .. انا عقدنا العزم ان نمضي سويا عبر درب الحياة ، وأن نلحق بأحباب لنا سبقونا ، سويا نقطع رحلة المجهول .. فما بالك أخلفت وعدك وحللت عقدك لقد أنسيتني كل المتاعب التي اعترضت حياتي الفتية ، لقد كنت أنسي في ليالي الشتاء الطويلة ، نبدد وحشتها بسمر طويل تغرقني فيه بفيض من جميل حديثك ، ورفيع أدبك ، وعذب شعرك .. والاصائل الجميلة في أمسيات الصيف نقطعها بالنزهات .. لقد أعدت لعيني الشعور بحلاوتها بطريف ملاحظاتك التي تشي باحساس مرهف بمناحي الجمال في الظلال والالوان ، ترسمها الطبيعة على أجمل ما يرسم .. يوشي ذلك انطلاقاتك عبر دروب البحتري وابن زيدون والنابغة وأبي تمام ، وكل من رسم ألواحا ساحرة في دنيا الادب .

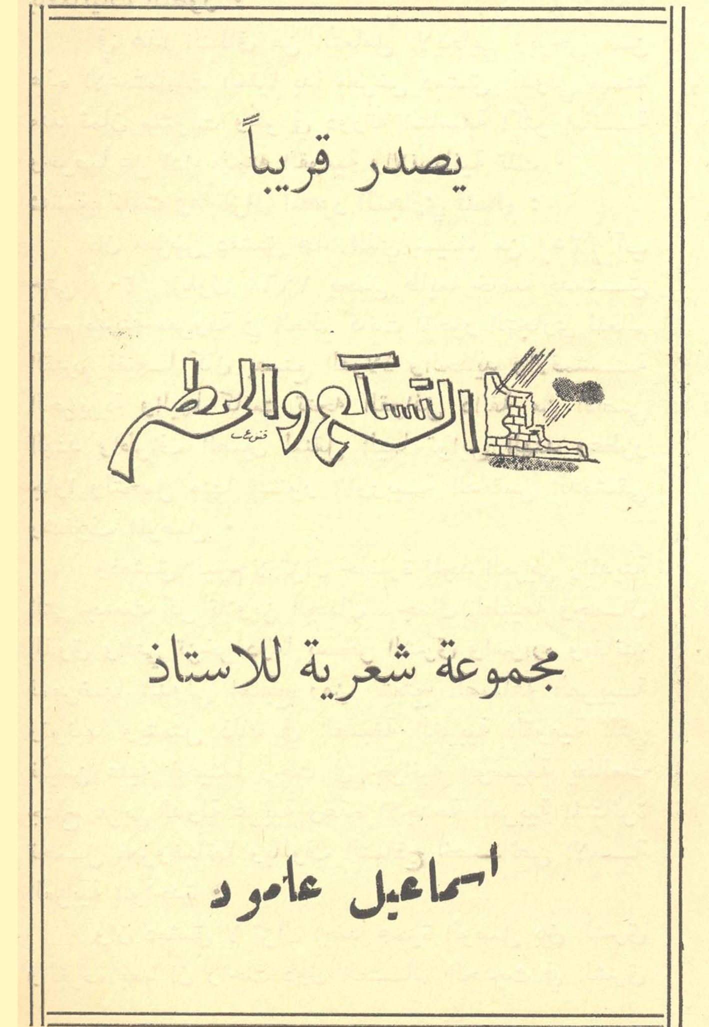
لقد رحلت يا ابتي .. أتراك كنت مجبرا على ذلك .. أكنت تحاول ايضاحه حين كان اسمي هو ترديدك وهتافك أيام مرضك الثلاثة وحتى اللحظات الاخيرة .. أكنت تعتذر بها عن قدر غشوم حين أعياك النطق ، فما تنتهي النظرة الا حين تمتد يد أخرى تطبقها الاطباقة الاخيرة ..!

كنت أعلم أنك مرغم اذ ترحل في دروب المجهول وحدك ولكن ، حين تحين الساعة ، وأستعد للرحيل بدوري فلن أكون مرغمة ، بل مشوقة .. جد مشوقة يا ابتي ، لاني سألقاك في أول الدرب تنتظرني ، لتمسك بيدي ، وتقودني الى أحبة لنا سبقونا منذ سنين وفاتنا ركبهم ..

فالى لقاء سأشتاقه ابدا ، سأكون كما قال ابو فراس :

سأبكيك ما أبقى لي الدهر مقلة
فان عزني دمع ، فما عزني دم

السيدة : بنت الشام



معرض دمشق الدولى التاسع

من ٢٥ آب حتى ٢٠ ايلول ١٩٦٢

دمشق على موعد مع العالم يتجدد كل عام :

في غضون شهر آب وايلول من كل عام تفتح دمشق ذراعيها للعالم لتكون ملتقى للشرق والغرب في هذا الشهر الجميل الذي يفتتح فيه معرضها ابوابه على الحب والنفع والتعاون . فمعرض دمشق هو عملية تفاعل انساني على مستوى عال اذ تحتشد فيه احداث المجهودات العقلية واليدوية ويتوزع في ارجائه النتاج الذهني للعديد من المجتمعات والشعوب والدول والاجناس وفي ذلك ما فيه من تنافس بريء واتاحة لفرص الاطلاع والتعريف بامكانيات التطور .

في هذا النطاق من التعامل الايجابي وبوحي من هذه الاهتمامات العليا بدأ معرض دمشق الدولي مهمته منذ ثمان سنوات وهو في دورته التاسعة اكثر امانة وحرصا على اداء مهمته القومية والانسانية تلك .

دمشق كانت وما تزال المحور التجاري للعالم :

ان معرض دمشق هذا الذي سيقام من /٢٥/ آب حتى /٢٠/ ايلول ١٩٦٢ يحمل طابعا خاصا فدمشق اقدم مدينة معروفة في العالم كانت المحور التجاري للعالم القديم ففيها كان يصنع الفولاذ والحديد والاقمشة الحريرية واليها كانت تتجه القوافل دالفة من اقاصي الهند واطراف الصين لتنقل اليها توابل الهند وعطور جاوا ولتحمل منها الثغور الاوربية الدمقس الدمشقي وشفوف الموصل .

ودمشق اليوم لا تزال حاضرة المجد العربي والمدينة التي جمعت كل تلاوين الجمال ، جمال الطبيعة وجمال الذوق والتي تزخر دوما بسحر الشرق واسراره ومفاتنه فمعرضها الدولي اصبح رمزا لتفتح الصناعة العربية وتوثبها ويتمثل ذلك في الصبغة الغربية القومية التي تهيمن عليه فحيثما رحت في جوانبه الوسيعة يطالعك جناح عربي لدولة عربية وهذه الاجنحة العربية المتناثرة تحمل معروضاتها وبألوف النماذج خصائص الامة العربية الواحدة .

وان دمشق لا تزال ايضا همزة الوصل بين الشرق والغرب بعد ان راحت دول العالم الحديث في الشرق والغرب تتبارى في عرض مظاهر قوتها وابداعها وافانين رقيها على جوانب معرض دمشق الدولي في نطاق من التواصل والتفاعل والعطاء ...

ومن هنا كان معرض دمشق الدولي اكبر تظاهرة اقتصادية في الشرق الاوسط على الاطلاق فهو تعريف بنهضة الجمهورية العربية السورية وبنهضة الوطن العربي كله وتعريف الشرق بالغرب والغرب بالشرق . وعلى هذا الصعيد الدولي يؤدي معرض دمشق رسالته القومية والانسانية فيتيح لهذه المجموعات والوحدات البشرية فرصة نادرة ثمينة يتبادلون فيها المنتجات والمجهودات والمنافع والمحبة .

اسباب نجاح معرض دمشق واهميته :

لقد توافرت لمعرض دمشق الدولي كل امكانيات النجاح الضخم فكان في كل واحدة من دوراته سوقا اقتصاديا دولية على جانب خطير من الاهمية بعد أن اصبح هذا المعرض قبلة انظار الاقطار العربية والدول الاجنبية في الشرق والغرب على السواء ... ومن جملة اسباب نجاح المعرض ان دمشق كانت وما تزال ذات مركز تجاري ممتاز .. ثم ان تنوع الآثار السورية وخصبها جعل لمعرض دمشق صفة سياحية الى جانب اهميته التجارية يضاف الى ذلك ان فترة اقامة المعرض في غضون شهر آب وايلول حيث يكون الطقس لطيفا في دمشق مما يتيح لمئات الالوف من العارضين والزائرين ، من الاجانب والمواطنين العرب الاستمتاع بجو دمشق اللطيف وبمشاهدة المصايف السورية القريبة من دمشق التي اشتهرت ببساتينها التي تملأ السهل والجبل وبمناخها الصحي البديع ، ومياهها العذبة ومشاهدة الطبيعة الساحرة ..

وليست الطبيعة الجميلة وحدها هي ما اشتهرت به سورية وانما هناك ميزة طبيعية قلما وجد لها مثيل هي سرعة الانتقال من جو الى جو ومن مناخ الى مناخ ففي نصف ساعة فقط يستطيع زائر دمشق ان ينتقل من المدينة الصاخبة الى القرى المعلقة على رؤوس الجبال حيث الهواء البارد النقي المضمخ بانفاس الورود وحيث

الطبيعة الحالمة ، وغابات التفاح والحور ومئات الوف الاشجار المثقلة بالفواكه الشامية اللذيذة ...

وطبيعي ان ينعكس هذا الجمال على نفوس السكان فيشعر الزائر بحاجة قوية الى المكث بين هؤلاء الناس الذين اكسبهم جمال بلادهم رقة في الحسن ورفاهة في الطبع وكرما في الخلق .

اهمية المعرض التجارية :

ان اهمية المعرض التجارية تتجلى في وفرة العدد للدول المشتركة كل عام وفي الاقبال المتزايد سنويا لعدد الزوار وارتفاع نسبة الصفقات التجارية المعقودة بمناسبته ففي ميدان المعرض يرتفع كل عام اعلام اكثر من /٢٣/ دولة من الشرق والغرب كما يشترك في هذا المعرض سنويا اكثر من الفي مؤسسة ويتجاوز عدد زواره على المليون ونيف زائر كما تقدر عدد الصفقات التي تتم بمناسبة اقامته بعشرات الملايين من الليرات السورية .

٢٣ دولة شاركت في معرض هذا العام :

الدول التي شاركت في هذا العام هي : بولونيا ـ المملكة المغربية ـ يوغسلافيا ـ الجمهورية الجزائرية ـ الولايات المتحدة الاميركية ـ المملكة الاردنية الهاشمية ـ الاتحاد السوفييتي ـ بلغاريا ـ المانيا الديمقراطية ـ المانيا الاتحادية ـ هنغاريا ـ ليبيا ـ تشيكوسلوفاكية ـ المملكة المتحدة ـ فلسطين ـ بلجيكا ـ الهند ـ العراق ـ ايطاليا ـ لبنان ـ هولندا ـ اليونان ـ الجمهورية العربية السورية .

اجنحة الدول المشتركة :

اول ما يطالعك عند دخولك لمدينة المعرض واجهات اجنحة الدول المشتركة التي زينت بتزيينات فنية تحمل الطابع الخاص لكل دولة وهذه الاجنحة قد ضمت صناعات من كل مكان في الارض حتى صيرت هذه الاجنحة بمجموعها متحفا انسانيا عجيبا للفن الصناعي في العالم باسره يجد فيه التاجر والصانع والمزارع ورجل الاعمال ضالته مهما كان نوعها وقد امتازت معروضات هذا العام بان شملت كل حاجيات الانسان ومستلزماته وكل مبتكرات الصناعة الثقيلة واليدوية .. وزيارة واحدة لهذه الاجنحة تريح المرء من مشقات السفر للطواف حول العالم فالعالم في متناول يد كل انسان في معرض دمشق الدولي التاسع .

اجنحة الجمهورية العربية السورية :

لقد شغل جناح الجمهورية العربية السورية اكبر مساحة بالنسبة للاجنحة الدوية الكبرى وقسم الى مقاسم بعضها تشمل الصناعات السورية المختلفة كالصناعات النسيجية الهامة القديمة والحديثة والمطرزات والصناعات النحاسية والفضية والخشبية والجلدية ولاول وهلة يلمس الزائر في جناح الصناعات السورية بوادر النهضة الصناعية الكبرى التي تسير سوريا بخطى سريعة لتحقيقها . وفي جناح الادارات والمؤسسات العامة يعرض نشاط الجمهورية العربية السورية في شتى الميادين العمرانية والاقتصادية وترسم الخطوط الكبرى لمشاريع المستقبل ففي حقل البترول تعرض الهيئة العامة لشؤون البترول انتاج مصفاة حمص وطرق تكرير النفط الخام في بلادنا ومنتجات غاز البوتان كما تعرض الخطوط البيانية لتقلبات اسعار النقط قياسا على الاسعار العالمية والتوزيع الجغرافي له كما تعرض مشاريع تمديد الانابيب لنقل النفط بين المحافظات السورية وهذه المعروضات تتيح لزائر الجناح ان يأخذ فكرة عامة عن اوضاع النفط في سورية من حقول الاستخراج الى اسواق التوزيع .

ومديرية الثروة المعدنية في وزارة الصناعة تعرض الثروات المعدنية الدفينة في باطن الارض السورية فلزات الحديد والرصاص وغير ذلك ...

وفي الجناح معروضات وزارة الزراعة التي تعطي فكرة عن القطن السوري ومنتجاتنا من الحبوب وطرق تسويقها ومكافحة آفاتها والى جانبها معروضات وزارة الاصلاح الزراعي التي ساعدت على انقاذ الفلاحين وتمليكهم الارض كما تعرض طرقها في تنظيم التعاون في الارياف وتقديم جميع الوسائل اللازمة لرفع مستوى الفلاح وفي جناح المؤسسات تعرض المديرية العامة للتبغ والتنباك انتاجنا من التبغ ولفافات السجائر بأنواعها المختلفة والى جانب ذلك مؤسسة النقل البحري التي تقوم بتأمين نقل البضائع السورية الى مختلف موانىء العالم فتسهم في تسويق انتاجنا ،كما انهى تعني بانشاء نواة للاسطول التجاري السوري ، وفي جناح المؤسسات العامة تعرض وزارة المواصلات نشاطها في ميادين شق الطرقات الجديدة وتعبيد القائمة ومد السكك الحديدية ، والى جانب قسمها اقسام وزارة الاشغال حيث يعرض النشاط الحكومي في ميادين العمران ، بناء دور الحكومة المستشفيات ، السجون وفي قسم المشاريع الكبرى تعرض مشاريع الري في سورية بواسطة مجسمات تشرح خطوطها الكبرى وفي الجناح ايضا قسم لوزارة الشؤون البلدية والقروية والى جانبه قسم السياحة والاصطياف حيث تعرض المنجزات التي تم انشاؤها في ميادين المرافق السياحية ، المقاصف والمنتزهات في مناطقنا الاصطيافية .

ان جناح الادارات والمؤسسات العامة تجسيد لنشاط الدولة في مختلف ميادينها .

المهرجان الفني للمعرض :

الى جانب ما حشدته عشرات الدول المشتركة من مظاهر تقدمها الاقتصادي ومنجزاتها الصناعية والانتاجية في معرض دمشق الدولي فقد ساهمت الى حد بعيد في مهرجانه الفني بروائع فنونها الموسيقية والراقصة والغنائية والتمثيلية ٠

فعلى مسرح المعرض الضخم وفي هذا الموسم بالذات سيشاهد العارضون والزائرون اشهر الفرق الفنية العالمية وارقاها وابعدها صيتا وحسبنا ان نذكر منها على سبيل المثال فرقة لاتيرنا ماجيكا او الفانوس السحري التي ستفتتح المهرجان الفني الكبير والتي تعمل لاول مرة خارج اوربا وخصيصا لمعرض دمشق الدولي فهي لم تخرج من اوربا الا الى دمشق رأسا واللاتيرنا ماجيكا هي اكبر حدث في دنيا الفنون اذ هي مزيج حي بين المسرح والسينما والباليه والموسيقى والرقص الشعبي وقد استمرت جهود مديرية المعرض ثلاث سنوات حتى تعاقدت مع هذه الفرقة العالمية وستعمل على مسرح المعرض لمدة عشرة ايام فقط من /٢٥/ آب حتى /٥/ ايلول ومن الفرق التي ستعمل على مسرح المعرض التاسع ايضا جوك المجموعة الممتازة الشعبية الراقصة لجمهورية مولدافيا الاشتراكية السوفيتية والمؤلفة من خمسين فنانا وفنانة يقدمون روائع الفن الاوكراني لاول مرة بالشرق الاوسط وبها يختتم المهرجان الفني لمعرض دمشق الدولي التاسع ٠

وفي ليلتي /١٤/ و /١٥/ ايلول ١٩٦٢ ستقدم فيروز والفرقة الشعبية اللبنانية برنامجا خاصا بالمهرجان الفني لمعرض دمشق الدولي التاسع هذا بالاضافة الى فرق وطنية اخرى ستشارك في هذا المهرجان ٠

ولا يخفى ان هذا المهرجان الحافل بأروع الوان الفن العالمي واعذبها والذي سيستمر طوال شهر المعرض ستكون له مؤثراته ونتائجه المحببة في الترفيه والتثقيف وارهاف الاحاسيس كما سيكون له اثره البعيد في تمازج الثقافات والفنون العالمية ٠٠٠

وهكذا فان شهر المعرض الذي تعيشه دمشق والوافدون اليها من انحاء سورية ومن البلدان العربية والاجنبية هذا الشهر اصبح خير ايام السنة لما تحمله ايامه من خير وبركة ومحبة وما تقدمه من متع ترضي العقول والنفوس ٠

سوق المبيعات :

انشئت مدينة المعرض سوق خاصة للمبيعات وذلك لفصل ميدان العرض عن ميدان البيع وقد قسمت هذه السوق الى مقاسم مختلفة ويسمح للمشتركين في المعرض ببيع بعض الهدايا التذكارية وقد غصت هذه السوق هذا العام بمختلف المعروضات الدقيقة والتحف النادرة ٠

رحلات سياحية للوقوف على المعالم السورية :

اتفقت المديرية العامة للمعرض مع بعض شركات السياحة لتنظيم رحلات خاصة لزوار المعرض بأجور مخفضة وذلك الى مختلف مدن الجمهورية العربية السورية للتمتع بمناظرها الجميلة وللوقوف على معالم آثارها الخالدة ٠٠٠

تحسينات جديدة في مدينة المعرض :

اقيم في مدينة المعرض هذا العام مدخل فني جديد من الباب المواجه للتكية السليمانية ، كما اقيمت نصب فنية في الحدائق من انتاج فنانين سوريين كما وسعت الحدائق وجهزت بالمقاعد المريحة وغرست بمختلف انواع الورود وقد زيدت النوافير والشلالات واضيئت اضاءة فنية ٠ هذا كما شمل الاجنحة تنسيق جديد وخاصة جناح الصناعات السورية ٠

تسهيلات كبيرة للعارضين :

منحت ادارة المعرض كافة التسهيلات الممكنة بالنسبة للعارضين فقد سمحت لهم باستعمال وسائل الدعاية بواسطة اذاعة مدينة المعرض او غيرها للدعاية لمعروضاتهم ٠

كما تؤمن المديرية الطاقة الكهربائية لجميع الاجنحة وكذلك المياه اللازمة والحراسة ٠٠٠ كما اعتمدت عددا من المخلصين الجمركيين للقيام بالتخليص الجمركي لبضائع المشتركين ٠

التسهيلات الاضافية الممنوحة للمشتركين :

يستفيد العارضون خلال مدة اقامة المعرض من الاحكام التالية :

آ ـ الاعفاء من شرط الفاتورة المصدقة ومن شهادة المنشأ ومما عليها من رسوم الطوابع عن البضائع والسلع الواردة للعارضين ٠

ب ـ الاعفاء من تنظيم بيان تفصيلي للبضائع والسلع الواردة للعرض في الاجنحة الدوالية الرسمية ، ويكتفى بربط الفواتير المقدمة الى بيانات اجمالية منظمة بها تسدد بالاستلام والتسليم من قبل مصلحة الجمارك ٠

ج ـ الاعفاء من ضرائب المسقفات والتمتع والدخل على اختلاف انواعها ومن جميع الضرائب البلدية عن منشآت العارضين ومبيعاتهم وارباحهم من المعرض ٠

د ـ اخراج قيمة البضاعة نقدا نادرا ضمن الانظمة المرعية ٠

امتيازات الزوار الاجانب :

يستطيع الزوار الاجانب الاستفادة من الامتيازات التاليـــة :

١ ـ الاعفاء من رسـوم سمة الدخول الى اراضي الجمهورية العربية السورية ٠

٢ ـ زيارة المتاحف والآثار في دمشق مجانا ٠

دليل المعرض :

للمعرض دليل رسمي يتضمن معلومات هامة عن سورية كما يتضمن اسماء العارضين والمعروضات وقسما خاصا للاعلان ، ويمكن الحصول على هذا الدليل مجانا بالكتابة الى ممديرية معرض دمشق الدولي او عن طريق مواجهة مكتب الاستعلامات في مديرية المعرض ٠

مكتب للبريد والهاتف :

انشىء في مدينة المعرض مبنى خاصا للبريد والهاتف يؤمن للزوار الاتصال بجميع الخطوط الخارجية كما يشمل هذا المبنى قسما خاصا لبيع الطوابع التذكارية بمناسبة المعرض التاسع ٠

قطار المعرض :

اعدت المديرية العامة للمعرض قطارا خاصا للتنقل ضمن مدينة المعرض ، كما اعدت حديقة خاصة للاطفال تحوي مختلف الالعاب وتشرف عليها مربيان مختصات ٠

افتتاح المعرض واوقات الزيارة :

يفتتح المعرض في /٢٥/ آب ويستمر الى /٢٠/ ايلول سنة ١٩٦٢ وتبدأ اوقات الزيارة يوميا من الساعة ١٠ ـ ١٣ ـ ومن ١٧ ـ ٢٤ ـ بما في ذلك ايام العطل ٠

ما يجب ان تعرفه عن معرض دمشق الدولي :

ـ اقيم معرض دمشق عام ١٩٥٤

ـ تبلغ مساحة مدينة المعرض ٢٧١٠٠٠ م٢ منها ٥٠٠٠٠ م٢ اراضي مغطاة و ٩٠٠٠٠ م٢ اراضي مكشوفة ٠

ـ وصل عدد الدول المشتركة سنويا في المعرض الى /٣١/ دولة ولم ينزل هذا الرقم عن /٢٢/ دولة ٠

ـ يزور المعـــرض سنويا عـــدد يتراوح ما بـين (١ر٢٥٠٠٠٠ ـ ١ر٧٥٠٠٠٠) زائر ٠

ـ ان الدور البارز لمعرض دمشق كمركز تجاري عالمي يتجلى في التزايد الملحوظ لما يعقده العارضون من صفقات لا سيما مع البلدان المجاورة ٠

ـ يمتاز معرض دمشق بتنوع معروضاته وضخامتها وحداثتها فهي تشمل كل الادوات الصناعية والزراعية كما تشمل كل الحاجيات والمواد الاستهلاكية ٠

وبعد فان معرض دمشق الدولي الذي حقق نجاحا عظيما في اعوامه السابقة سيحقق نجاحا اعظم هذا العام وهو يرحب بك اليوم ويدعوك لزيارته ٠

في ذكرى قدري العمر !

شعر الدكتور : مهدي الجم

الى المرحوم قدري العمر
من تلميذه وصديقه الدكتور مهدي الجم

قدري ، اهل مهدي ببالك
في الصف يشرب من خصالك ؟
يصغي اليك بقلبه
وبكل جارحة هنالك
لك في الطراز مقلدا
يرجو يكون على مثالك
في الصف كم متمرد
فقد كان يسكن من جلالك
لك طلعة بالبشر تعـ
لو ، اذ يجاوب عن سؤالك
الصف صفاه الزما
ن ، وكان جمعا في حيالك
في كل فضل ناله
بالعلم فضل من نوالك
بيني وبينك ما انقضى
عهد المودة بعد ذلك
آوي ، اذا اشتد الزما
ن ، الى خفيف من ظلالك
والى لطيف من مزا
جك ، فيه سر من جمالك
ان ضل قوم في مجالك
فلأن عبقر في مجالك
رب البيان تراه خفـ
ـاق الجنان الى مقالك
صنت اليدين عن الحرا
م ، وكم عطاء من حلالك
عز القناعة كل مالك
ما كان اعظم رأسمالك !
في كل نفس حرة
ملك يتيه على الممالك
دنيا الصغار تركتها
من قبل موتك للصعالك
والذكر يبقى وحده
من بعد مملوك ومالك
ارجع لربك راضيا
نفسا ، ومرضيا كذلك

ورد الردى سهل على
من لم يرد سوء المسالك
والزهر يطلع من ثرا
ك ، به عبير من خلالك

• • •

انا ميت حي فهل
ارثي لحالي ام لحالك ؟
ما للرثاء وكل شي
ء غير وجه الله هالك !
هذا حنين مضيع
عطف الابوة من فعالك
بل ذا أنين من ضنين
ن بالمدامع من رجالك
والموت هذا اليوم فو
ز بالنجاة من المهالك
أنا في الورى حي ولا
أحياء من حولي هنالك
ما كنت أعمى انما
حولي ظلام الليل حالك
والامر مختلط فما
تدري يمينك من شمالك
يا ليل هل للحائريـ
ن وميض نجم من خلالك !؟
ما ذر الاقرن شيـ
طان ، فيا أسفي لذلك !
يا ليل كم من كوكب
دان ، بعيد عن منالك ...

• • •

لم يبق من عهد الاحبـ
ـة غير ذكرى في خيالك
سلكوا الى مجهولهم
وانا قبيل الفجر سالك
ان كنت تطمع في وصا
ل الشمس ، فايأس من وصالك
لا وصل غير جراح قلـ
ـبك في لياليك الحوالك

دمشق — آب ١٩٦٢ مهدي الجم
دكتوراه دولة في الحقوق
من جامعة جنيف

متى يطير الانسان نحو القمر ؟

كان الناشر الاميركي ج . كولز يتحدث مع ن . خروشوف فسأله :
« بأي تاريخ يمكنك أن تتوقع ارسال الاتحاد السوفييتي انسانا الى القمر واعادته ؟ » .

وجاب خروشوف :

« .. ان ارسال بشر الى القمر يثير كثيرا من القضايا المتنوعة فالذهاب الى القمر والعودة منه سيكلفان ثمنا باهظا » .
وقد كتب الينا نيكولاي فافاروف ، معلق وكالة نوفوستي الصحفية لشؤون الملاحة الكونية ، يعرض لنا بعض القضايا التكنيكية المتصلة بالطيران نحو القمر .

هذا السؤال يهم ولا شك كثيرا من الناس . فمتى يكون ذلك فعلا ؟ لقد مضت ثلاث سنوات تقريبا منذ أن قام المستكشفون السوفييتيون بوضع شعارات الاتحاد السوفييتي على سطح القمر وقد كتب عليها : « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » . وفي ايلول **١٩٥٩** أي بعد ذلك بشهر قام العلماء السوفييتيون بتجربة فضائية جديدة اذ صوروا الوجه غير المنظور من أقرب كوكب الى الارض .

في الحالة الحاضرة من التكنيك الفضائي ، نجد طيران محطات اوتوماتيكية نحو القمر مع هبوطها على سطحه دون اصطدام أمرا ممكن التحقيق تماما . وسيتيح ذلك للانسان بان ينقل الى القمر الاجهزة العلمية الضرورية التي ستنقل الى الارض معلومات عن الظروف القمرية .

وثمة فرضية تقول بأن سطح القمر مغطى بطبقة سميكة من الغبار الدقيق جدا حيث يمكن أن يغرق الصاروخ اذ صح التعبير . ويعتقد علماء آخرون أن القمر مكون من كتلة صلبة متناسقة لها مظهر الخبث المعدني . ومن الضروري معرفة تركيب التربة القمرية وخصائصها الميكانيكية بغية وضع جهاز مضمون للنزول على سطح القمر وتحديد ظروف استخدام الاجهزة العلمية المنقولة اليه . وينبغي النظر بعين الاعتبار الى أن تيار الغاز المحترق المنبعث في انبوب الصاروخ سيدمر ويصهر سطح مركز الهبوط . ولهذا فان القيام بواسطة أجهزة علمية بتحليل تركيب وتكوين التربة القمرية في مكان الهبوط بالذات لن يعطي معلومات موثوقة . فمن

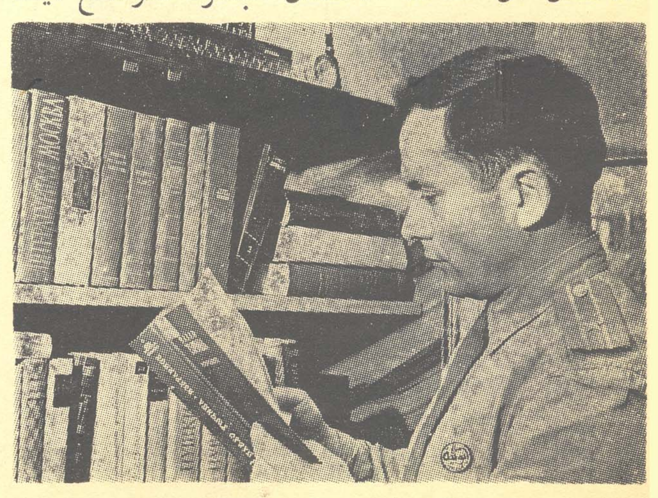


الرداء الكوني يرتديه بوبوفيتش قبل انطلاقه في رحلته التاريخية الفضائية

الضروري اذن ايجاد أجهزة أوتوماتيكية خاصة تستطيع الانفصال عن الصاروخ والابتعاد عنه الى مسافة ما . ولنضف القول بأنه اذا كان سطح القمر مغطى بطبقة من الصخور الصلبة يكفي عند ذلك ابعاد الاجهزة العلمية بضعة كيلو مترات من نقطة هبوط الصاروخ على القمر في حين ينبغي ابعادها بضع عشرات الكيلو مترات اذا كان سطح القمر مغطى بطبقة من الغبار . وبهذا الشرط فقط تستطيع الاجهزة الاوتوماتيكية اعطاء تحليل دقيق لسطح القمر ولسماكة قشرته وتحديد النظام الحراري ومستوى تركيب الاشعاعات على سطح القمر وفي تربته والقيام بابحاث أخرى .

وهذه الاجهزة الاوتوماتيكية ستتيح القيام بالدراسة في قطاعات محددة من سطح القمر قريبة من الصاروخ . ولهذا فمن الضروري لتوسيع منطقة الاستكشاف أن ننقل الى سطح القمر محطات اوتوماتيكية سيارة تقاد من الارض بواسطة جهاز خاص مركب عليها . ثم ان هذه المحطات السيارة يجب أن تكون مزودة بعدة خاصة تتيح لها التوجه بنفسها بين التضاريس الصغيرة وان لا تقع في حفر واخاديد وان تدور عن الحواجز الكبيرة . ويمكن بواسطة « انسان آلي متنقل » القيام لا بدراسة سطح القمر بنقل صور تلفزيونية الى الارض وحسب بل الحصول أيضا على معلومات مفصلة عن الظروف القمرية .

غير أنه مهما بلغت الاجهزة الاوتوماتيكية من الاتقان فان مساهمة الانسان المباشرة ستوسع أيضا



بافل بوبوفيتش في مكتبه



نيكولاييف في حالة انعدام الوزن

امكانيات استكشاف القمر بصورة أعم . **ولهذا فان طيران سفن فضائية نحو القمر وعلى متنها فريق من المستكشفين سيصبح أمرا لا بد منه ، سيصبح أمرا طبيعيا في سياق الامور .**

الا أن ذلك الطيران سيسبقه ، على ما أعتقد ، طيران متكرر يقوم به الانسان حول القمر ويعود لينزل على الارض لان هذا النوع من الطيران أسهل تحقيقا من وجهة نظر علم الطاقة . الا أن هذا الطيران لن يكون ممكنا أيضا الا بعد دراسة دقيقة لخط السير من الارض الى القمر الى الارض بواسطة محطات اوتوماتيكية تحمل حيوانات ونباتات .

ولتحقيق رحلات فضائية يقوم بها مستكشفون ينزلون الى القمر ينبغي قبل كل شيء تأمين رجوعهم بسلامة الى أرض . وفي سبيل ذلك يجب التغلب على بعض الصعوبات التكنيكية . فمؤونة السفينة الفضائية من المحروقات يجب أن تتيح الاقلاع من الارض بسرعة ١١٫٢ ك٠م في الثانية على الاقل ، وتأمين كبح السرعة للنزول على سطح القمر بدون اصطدام (حيث يجب أن تنخفض السرعة الى ٣ ك٠م بالثانية تقريبا ومن ثم ، لدى الاقلاع عن القمر يجب رفع السرعة الى ٢٫٤ ك٠م بالثانية ذلك ان قوة الجاذبية القمرية أقل بصورة ملحوظة من الجاذبية الارضية . وعدا ذلك يجب أن يكون على متن السفينة الفضائية كمية من المحروقات لتصحيح خط الطيران . وفي هذه الحالة ونظرا لكون السرعة ستنخفض

أخرى تتيح لجماعة من المستكشفين أن يبلغوا القمر قوامها اقامة محطة وسيطة للتموين بالمحروقات مؤلفة من سبوتنيكات تستطيع أن تحتوي على المؤن اللازمة من المحروقات • وهذه الفكرة التي قال بها لاول مرة قسنطين تسيولكوفسكي ، تطورت في أعمال عدد من تلاميذه • انهم يعتقدون أن توزيع مخزونات المحروقات على الاقمار الصناعية الدائرة في أفلاك مختلف الكواكب وعلى سطح الكواكب السيارة ، سيجعل بالامكان طيران جماعة من المستكشفين نحو كواكب أخرى حتى على متن سفن تستخدم المحروق الكيماوي كمصدر للطاقة •

ان تحقيق هذا المخطط البالغ التعقيد للاسفار بين الكواكب سيتطلب طبعا حل العديد من القضايا العلمية والتكنيكية الصعبة : كوضع عدد كبير من الصواريخ



اندريان نيكولاييف في ردائه الفضائي

لدى الهبوط باستعمال خصائص الجو الناتجة للسرعة ، فان السرعة الكلية ستبلغ ٢٠ كم بالثانية تقريبا • وينتج عن ذلك أنه اذا كانت الحمولة المجدية للسفينة الفضائية (أي دون الحجرات والركاب والادوات اللازمة) ١٠ أطنان فان وزن السفينة القمرية لدى اقلاعها (حتى لو استعملنا أفضل محروق كيماوي معروف لدى العلماء) سيبلغ ٣٠٠٠ طن تقريبا • وبتعبير آخر فان وزن غلاف الصاروخ القاذف والسفينة والمؤونة الضرورية من المحروقات ستبلغ ٢٩٩٠ طن • ومن الواضح أنه بالنظر الى مستوى التطور الحالي في التكنيك الفضائي من المستحيل انشاء سفينة يكون وزنها في البداية أعلى بـ ٣٠٠ ضعف من وزنها النهائي •

وادراكا لهذه الصعوبات ينكر العلماء بطريقة



الاحكام الاخيرة للرداء الكوني

الصهاريج بدقة في فلك السبوتنيك الذي يقوم بدور محطة بين الكواكب ، وانشاء المحطة نفسها وتركيب سفن عليها للسفر بين الكواكب • ومن أبحار السفن بدقة في الفضاء وهلم جرا •

غير أن الصعوبات لا تقتصر على ذلك • فالسرعات الهائلة تتطلب أعمالا سريعة كالبرق من قبل الملاحين الذين يقودون عملية الطيران • ومن المعلوم ان رد الفعل في الجسم البشري « بطيء » جدا بالقياس الى السرعات الكونية • فهكذا مثلا ان رد فعل الانسان لدى تغير الوضع وزوال السبب الذي أدى الى ذلك التغير يتطلب بضع ثوان • وخلال هذه الثواني تكون السفينة قد قطعت كيلو مترات عديدة • وهكذا فان نقص امكانيات الملاح الكوني يعقد القيادة اليدوية للسفينة في خط طيرانها وينفي امكانية هذه القيادة عند الاقلاع وعند الوصول الى سطح أحد الكوكب أي عندما يقتضي الامر دقة خاصة • ولهذا فمن الضروري قبل ارسال المستكشفين الى القمر جعل قيادةالسفينةالفضائية تجري كليا بصورة اوتوماتيكية ليس فقط لدى اقلاعها من الارض وخلال سفرها بما في ذلك النزول بدون اصطدام على متن أحد الكواكب ، بل كذلك أيضا لدى الاقلاع عن القمر ولدى الهبوط • اما لدى النزول على سطح القمر فيجب أن يعمل جهاز القيادة بصورة مستقلة عن الاجهزة التي تحملها السفينة• وبالفعل ان الزمن الذي ينقضي بين ارسال اشارةبالراديو من متن السفينة الى الارض وارسال اشارة جوابية يبلغ ثانيتين ونصف الثانية • وفي هذه الاثناء تكون السفينة قد قطعت كيلو مترين ونصف اذا اعتبرنا ان معدل سرعتها هو كيلو متر واحد في الثانية • والحال انه ينبغي لتأمين الهبوط على القمر بدون اصطدام أن يستجيب جهاز القيادة عمليا بصورة فورية لجميع التغيرات •

ان الصعوبات التكنيكية التي أتينا على ذكرها تكفي لتبين مدى التعقيد في ارسال جماعة من المستكشفين الى القمر • وسيتوجب على مبدعي التكنيك الفضائي أن يبذلو المزيد من الجهود الكبيرة لتحقيق الطيران بين الكواكب •

وعادت الدنيا ..

عادات لتغمر دنيا الادب والفن ، بموجات « عطرية » الوجود • عادت الى ميدان السطور المغمسة بالقلق والتعب •• بالدموالعذاب • فميدان الكلمةالعذبة الرشيقة •• والفاصلة السحرية الايقاع • ميدان الصحافة والادب ، بعد أن تركت فراغا هائلا في الصحافة السحرية الايقاع • ميدان الصحافة والادب ، بعد أن تركت فراغا هائلا في الاسبوعية الراقية •

عادت الدنيا جديدة بكل ما تحمل هذه الكلمة من جدة وطرافة •• لتنشر ظلالها الوارفة ، على أقلام غضة طرية ما زالت في بداية الطريق •• ولتحنو •• وتضم الى صدرها الكريم ، سطور بوح جديدة طيبة • فالدنيا كانت رفيقتنا المخلصة الوفية في درب الحياة الشائك ••• نترقبها بلهفة شوق ملحاحة كل يوم خميس •• لنضيع في أودية « العطر » المروية بايمان ، واخلاص ، وشباب ، وحياة استاذنا الكبير •

فتحية اليك يا أبا سامر من صميم قلوبنا • وألف مبروك •

الهند تخطط للتقدم والازدهار والرخاء

ان الغرض الاساسي للبرامج الانمائية التي نفذت في الهند منذ نيلها لاستقلالها في عام ١٩٤٧ هو تهيئة الفرص لجماهير الشعب الهندي لبلوغ حياة اسعد وارغد ۰ وبالفعل فان دستور الهند الحرة قطع وعدا بأن الدولة ستعمل جاهدة على رفاهية الشعب وذلك بضمان وحماية نظام اجتماعي تكون فيه العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المبدأ الموجه لجميع مرافق الحياة القومية ۰

والحقيقة ان الهند حققت تقدما ظاهرا بمشروعيها للسنوات الخمس الاول والثاني ابتداء من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٦١ ۰ وهذه النسبة في التقدم تمت المحافظة عليها في برنامج السنوات الخمس الثالث ١٩٦١ ـ ١٩٦٦

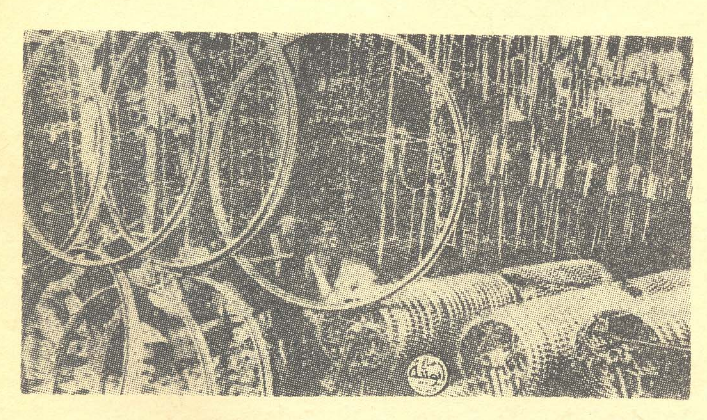
ويمكن اخذ نظرة عامة عن نمو الاقتصاد الهندي للفترة الواقعة ما بين ١٩٥١ حتى عام ١٩٦١ من الارقام التالية التي تبين نسبة الزيادة المئوية التي تحققت في مختلف الحقول من نهاية عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بالمقارنة بارقام عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ۰

الرقم المتسلسل	المادة	الزيادة المئوية في ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بالنسبة لعام ٩٥٠ ـ ٩٥١
١	الدخل القومي	٤٢
٢	الدخل الفردي	١٦
٣	انتاج الحبوب	٤٦
٤	الانتاج الزراعي	٤١
٥	الانتاج الصناعي	٩٤
٦	انتاج الفولاذ	١٥٠
٧	انتاج القماش	٦٢
٨	انتاج فلزات الحديد	٢٣٤
٩	انتاج الفحم	٦٩
١٠	انتاج الطاقة الكهربائية	١٤٨
١١	طرق جديدة	٤٨
١٢	سكك حديدية	٦٨
١٣	شحن	١٣١
١٤	التعليم العام	٨٥
١٥	التعليم الفني	٢٣٩

وهذه النسبة في التقدم حوفظ عليها بدقة في برنامج السنوات الخمس الثالث ۰ فمثلا ازداد الدخل القومي في عام ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ وهو العام الاول من مشروع السنوات الخمس الثالث ٣,٥٪ وفي هذا العام تم تأمين مليوني عمل جديد ، وارتفع منسوب الانتاج الصناعي بحوالي ٨ بالمئة ما عدا صناعات الجوت والقطن والمنسوجات التي ارتفع انتاجها بحوالي ١٤ بالمئة ۰

وهكذا تسير الهند قدما لتصبح دولة كاملة التقدم تحتل مكانها اللائق بين البلدان الحديثة في العالم ۰ والغاية هي تحقيق نظام المجتمع الاشتراكي ۰ وجوهريا يعني ذلك ان منهاج التطوير والتقدم يجب الا يؤدي الى زيادة ملموسة في الدخل القومي والتوظيف ، بل ايضا الى مساواة اكبر في الدخول والثروات ، كما ان منافع الانماء الاقتصادي يجب ان تصيب طبقات المجتمع الفقيرة بقسط اكبر ، وبذلك يترتب حدوث تخفيض تمركز الدخول والثروات والطاقة الاقتصادية ۰

وبعد انجاز مشروع السنوات الخمس في عام ١٩٦٦ ، ينتظر ان يصل الاقتصاد الهندي الى مايسمونه مرحلة الانطلاق بحيث يتبعها تقدم اوتوماتيكي يعتمد



على ذاته ۰ ان العالم بأسره يرقب باهتمام شديد تجربة الهند في الاقتصاد المخطط في ظل الديمقراطية ۰ واذا ما نجحت هذه التجربة كما هو مقدر لها فستكون خير مشجع ودافع لجميع الشعوب النامية في آسيا وافريقيا ۰

البرنامج الثالث واهدافه

ما هو البرنامج الثالث وما الذي يهدف الى تحقيقه ؟ يمكن الاجابة على ذلك بسهولة وبنقاط ثابتة ۰ غير ان

ما يرمي اليه هذا البرنامج بالضبط لا يمكن ايضاحه بأكثر من كلمات الرئيس جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند الذي كتب عنه ما يلي :

« اعتقد ان كل شخص يتحدث او يطلع على هذا البرنامج له رأيه الخاص به متأثرا بمدى منفعته وما يرجوه منه • وقد يفكر البعض بالنمو الزراعي والبعض بالنمو الصناعي والبعض بزيادة فرص الاستخدام والبعض بجميع ذلك او اكثر أي بجميع اجزاء برنامج السنوات الثالث ، ولكنه في الواقع اكثر من ذلك بكثير • انه سعى للتفكير بالمستقبل الذي نرمي اليه وربطه بالحاضر وتصور سير شعب عظيم كثير السكان نحو اهدافه المرجوة •

ولذلك كان من الضروري أن يكون لدينا تصور واضح جلي للاغراض المستهدفة ولنوع المجتمع الذي نريده في الهند ومن • الضروري ايضا معرفة الطريق التي يتوجب علينا سلوكها • ومن المؤكد ان يكون الهدف المساواة الانسانية واتاحة الفرص للجميع لتحقيق حياة كريمة ، وخلق مجتمع يقوم على مبدأ الجهد التعاوني لا على غريزة التملك • وعلينا دائما ان نضع هذه الاهداف نصب اعيننا ، والا فاننا نضل الطريق • اننا نعيش في عصر تحدث فيه تبديلات عجيبة في اننا نعيش في عصر تحدث فيه تبديلات عجيبة في العلوم والتكنولوجيا • وهذه التبديلات ينتج عنها دوما تحول في المجتمع وطريقة عيشه • علينا ان نتفهم ونفيد من هذه التبدلات التكنولوجية التي تجري • وبالفعل يتوجب علينا ان ندخل في صميم العلوم والتكنولوجيا • واذا ما فعلنا ذلك يجب علينا ان لا ننسى القيم الانسانية والخلقية والروحية التي تجعل من الحياة ذات مغزى وقيمة وهكذا فان هذا البرنامج ليس مجرد تجربة احصائية او قائمة بالاشياء التي سنقوم بها في الارض في المصنع او في أي مكان آخر ، بل تخطيط غير كاف لحياة غنية نشيطة نؤمل تحقيقها للملايين من شعبنا ، والجد الذي يحقق ذلك لانه بدون جد لا يمكن بلوغ شيء • علينا ان لا نتطلع الى القمم فقط بل علينا ان نعمل جاهدين لبلوغ هذه القمم •

خمائل الدرويش

ماتب دروب الصقيع •• وتمزقت خيوط الالم التي خنقت الحرف •• والكلمة الحلوة ، وأماتت النسغ في أوراق الاداب الحد الاخضر •• وعندنا لنبدأ من جديد ••• لنستقبل « دنيا جديدة » فيها « ألوان » من العطر والكرامة والتعب ، ولنتفيأ تحت « خمائل » الدراويش فنستريح من عناء الالم •• ونعب حتى نرتوي من أدبهم وطيبهم •

ولئن كانت « الخمائل » وارفة الظلال !• هادئة طيبة •! فمرد ذلك الى نفس صاحبها ، وذوقه ورفاهة احساسه ولئن أجبنا الخمائل •• فلأنها تستمد من صاحبها لسحر البيان وقوة البلاغة • لقد كان العدد الاول من « الخمائل » حافلا بالموضوعات الادبية الراقية •• وبروائع الشعر •• ونرجو الله أن تنتقل الخمائل من حسن الى أحسن حتى تؤدي رسالتها في خدمة الكلمة البليغة الراقية •

جناح المانيا الاتحادية في معرض دمشق الدولي التاسع

« تأتي الجمهورية الاتحادية الالمانية في المرتبة الثانية من حيث صادراتها على الجمهورية العربية السورية اذ تبلغ قيمة ما صدرته خلال عام ١٩٦١ ر٨٥ ٦ مليون ليرة سورية . وبالمقابل فقد كانت صادرات الجمهورية الاتحادية الالمانية تعادل ٢٥ مليون ليرة سورية ، ومن المفروض ان تزداد هذه الصادرات ازديادا محسوسا خلال عام ١٩٦٢ .

هذا ما صرح به المستشار الاقتصادي لدى سفارة الجمهورية الاتحادية الالمانية في المؤتمر الصحفي الذي عقده صباح يوم الجمعة الفائت في جناح الجمهورية الاتحادية الالمانية في معرض دمشق الدولي التاسع . »

حضر هذا المؤتمر الصحفي سعادة سفير الجمهورية الاتحادية الالمانية في دمشق الدكتور رودولف فيشتر ، والمستشار في وزارة الاقتصاد الاتحادية في بون الدكتور شولتز والدكتور يواخيم هيتسيك الممثل الدائم للحكومة الالمانية في المعارض الدولية ، والسيد جوزيف شمياينغ مدير جناح الجمهورية الاتحادية الالمانية .

وقد صرح السيد راملو ايضا بأن حكومة الجمهورية الاتحادية الالمانية كانت في السنة الماضية تحتل المرتبة الثالثة في العالم من حيث الاستيراد ، فقد بلغت مستورداتها ٤٤ مليار مارك الماني ، واما بالنسبة لصادراتها فقد بلغت ٥١ مليار مارك الماني وهي بذلك تحتل المرتبة الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة الاميركية .

هذه هي المرة الثامنة التي تشترك فيها الجمهورية الاتحادية الالمانية في معرض دمشق الدولي أي منذ بدايته . فلقد انشأت الحكومة الاتحادية الالمانية منذ عام ١٩٥٤ جناحها الثابت الذي يعرض فيه كل عام نماذج من صناعات الجمهورية الاتحادية الالمانية .

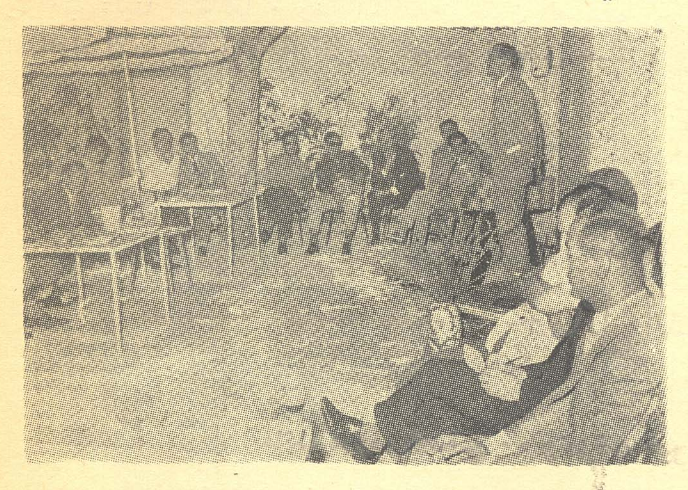
يشغل جناح الجمهورية الاتحادية الالمانية في معرض دمشق الدولي ٣٠٠٠ مترا مربعا بما في ذلك الاقسام الداخلية المكشوفة المخصصة اجمالا لعرض الالات الضخمة التي تستعمل في البناء والزراعة .

ان تنظيم الجناح وهندسته قد صمم من قبل هيئة المعارض الدولية التي تعمل تحت اشراف وزارة الاقتصاد المركزية في الجمهورية الاتحادية الالمانية . والهدف الاول من اقامة هذا الجناح هو اظهار امكانيات الاقتصاد الالماني ولعرض احدث الالات والاوائل الصناعية التي تعد للتصدير .

« واذا ما زرتم الجناح الالماني فانكم ستلاحظون الاوائل الزراعية العديدة كما ستعجبون بالسيارة الحديثة من طراز اونيموج المخصصة لمراقبة وقياس موجات البريد والبرق والهاتف . هذه السيارة وآلات حديثة أخرى قدمت هدية الى الجمهورية العربية السورية من الجمهورية الاتحادية الالمانية وذلك في حقل المساعدات الفنية ، هذا ما قاله السيد راملو » .

وتتضمن هدية الحكومة الالمانية رابع آلات زراعية كبيرة من الالات المتوسطة والصغيرة التي تستعمل في مكافحة الحشرات والآفات الزراعية .

اما سيارة ضبط وقياس الموجات البرقية والسلكية فهي تعتبر هدية ثمينة تقدمها حكومة الجمهورية الاتحادية



الالمانية الى دائرة البريد والبرق والهاتف السورية . وهذه السيارة هي جزء من التجهيزات التي ستقدم الى مدرسة البريد والبرق والهاتف في دمشق وان هذه المدرسة ستفتتح في الخامس عشر من شهر تشرين الاول بمساعدة الجمهورية الاتحادية الالمانية وفقا لبرامج المعونة الفنية والتي سبق للحكومة الالمانية ان جهزت مثل هذه المدرسة في حلب منذ عامين ، وقد اسس هذا المعهد الفني من قبل الجمهورية الاتحادية الالمانية ليقوم بتخريج اساتذة فنيين .

في منتصف جناح الجمهورية الاتحادية الالمانية توجد زجاجة ماء محاطة بمضخات مختلفة الانواع وصور ضخمة عن السدود والتجهيزات التي تنتج القوة الكهربائية وهذا النموذج يظهر كيفية استعمال الماء فنيا ويعطي صورة عن تطور الاقتصاد الالماني .

في الجهة اليسرى من الفسحة الداخلية وضع جرارات ومحاريث وجرافات من جميع الانواع للاغراض الزراعية ويمكنكم هنا ان تجدوا نماذج عن الآلات المبيدة للحشرات منذ بدء اختراعها ثم كيف تطورت فظهرت الالات والتجهيزات الحديثة التي تستعمل اليوم ويمكن ايضا مشاهدة مجموعة آلات لتنقية البذار وتحضير الحبوب وجرشها وعصر الفواكه .

وفي الجهة اليمنى من القاعة عرضت آلات خاصة مختلفة الانواع لبناء الطرق وتسويتها من مداحل واوائل بولدوزر تعرضها اكبر المعامل الالمانية واكثرها شهرة .

ويعترض هذا الممر قسم اخر اقيم فيه مركز للاستعلامات تابع للجناح يمكن مشاهدة آلات طباعة وتمديدات اجهزة مطبخ ضخم تمتد حوالي اربعة عشر مترا تضاف الى ذلك ادوات صحية كهربائية وتجهيزات لطب الاسنان .

وفي الجهة المقابلة من القاعة تعرض اجهزة التلفزيون والراديو وآلات الموسيقى والالات الصناعية للخياطة والبرادات .

ويتابع السيد راملو قائلا :

« ان العلاقات الاقتصادية بين الجمهورية العربية السورية والجمهورية الاتحادية الالمانية هي اليوم كما كانت دائما على احسن ما يمكن ان تكون العلاقات ، زد الى ذلك ما تقوم به الصناعة الالمانية من دور هام في حقل استخراج الثروات المعدنية السورية الدفينة وتصديرها الى المانيا الاتحادية . وقد اقيم في جناح الجمهورية الاتحادية الالمانية معرض لذلك تبدو فيه نماذج عن كيفية التنقيب عن البترول من قبل شركة كونكورديا الالمانية في الشمال الشرقي من سوريا (السويدية) .

وسيكون للمعونة المنتظرة لبناء سد الفرات اثر كبير في تطور الاقتصاد السوري .. واردف السيد راملو قائلا : انني سعيد جدا بأن المفاوضات المتعلقة بهذا المشروع ستبدأ بكل تأكيد في شهر ايلول المقبل في بون.

عيد بلغاريا القومي

في التاسع من ايلول الحالي يحتفل الشعب البلغاري بالعيد الثامن عشر لتحرره من نير الحكم الفاشستي واقامة حكم شعبي ٠

في قصة من قصص الكاتب البلغاري الكبير « ايفان فازوف » التي عنوانها « الاب بوتزو ينظر » يصف الكاتب التطورات التي حدثت في بلغاريا بعد التحرر من نير الحكم التركي بقليل ٠ من مكان مرتفع يراقب « الاب بوتزو » المهندسين الايطاليين الذين يمدون الخط الحديدي خلال الوادي الصخري حيث يقطع نهر « ايسكار » جبال « ستارا بلانينا » الى شطرين ٠

وعندما اطلقت اول قاطرة صفارتها صرخ الاب « بوتزو » : لقد رأيت ٠

لقد رأى الاب « بوتزو » بلغاريا التي كانت الى زمن قريب ولاية تركية ، رآها تبني سكتها الحديدية ٠

ومنذ ذلك الوقت لم يتغير شيء من تلك المنطقة الجبلية النائية ٠ والان بعد مرور سبعين عاما على عهد « الاب بوتزو » اصبحت تلك المنطقة تعج بالحياة حيث الطرق المزفتة والخطوط الحديدية المزدوجة التي قام هذه المرة بتنفيذها مهندسون بلغار هم احفاد الاب بوتزو ، وعلى جانبي الطريق تناثرت الفيلات بعد ان كانت مقفرة ٠ والتي يسكنها اليوم العمال الذين يعملون في معامل الصلب في « كريميكوفتزكي » قرب صوفيا ٠ او في المعامل ومناجم النحاس الواقعة في نفس المنطقة ٠ حيث يواصل الجيولوجيون تنقيبهم باحثين عن معادن جديدة ٠

ومع ذلك ليست هذه هي التطورات التي يتكلم عنها الاب بوتزو ٠

اليوم بعد مرور ثمانية عشر عاما على قيام الحكم الشعبي ، ان بلغاريا تحتل المكان الاول في العالم نسبة لعدد سكانها فيما يتعلق بعدد الشبان الذين يتخرجون من المدارس الثانوية او الذين يواصلون دراستهم العليا وفيما يتعلق بالعناية الصحية في القرى حيث ان كل ٧١٤ شخصا لهم طبيب ٠

ان ابناء الرعاة والفلاحين اصبحوا اليوم اطباء ومدرسين ومسؤلين في الدولة ٠ كما ان الخبراء البلغار الشباب يقدمون خبرتهم الفنية الى البلاد المتأخرة النمو الاقتصادي ، حيث يقومون ببناء السدود وشبكات الري والمصانع ٠

اكثر من ٨٥٪ من القرى البلغارية اصبحت اليوم مزودة بالكهرباء وكل قرية يوجد فيها مدرسة ومركز ثقافي ٠

ان ثلث مساكن القرى تم بناءها خلال الحكم الشعبي حيث ان الدار تحوي من ٤ الى ٦ غرف ومنظر القرية اليوم يوحي بالدهشة بالنسبة لما كانت عليه ٠

والمياه في بلغاريا تستثمر الى اقصى درجة في الري وانتاج الطاقة الكهربائية ٠

والمحراث القديم لم يعد الا ذكرى حيث حل محله الجرار البلغاري ٠

بالقرب من صوفيا ، بلوفديف ، بيرتيك ، ديمتروف غراد (التي بنيت بعد الحرب) وستارا ، زاغورا وفارنا وروسي تنتصب مداخن المصانع الكيماوية والفولاذية والاسمنت وغيرها ، تنتصب بكبرياء وعزة ٠

ان النصر الذي حققه الشعب في ٩ ايلول ١٩٤٤ قد غير وجه التاريخ ٠ بعد ٩ ايلول اصبحت بلغاريا سيدة مصيرها ٠ وقد شعرت للمرة الاولى بجمال الحياة ، ولهذا يعتبر هذا التاريخ ليس فقط عيدا بل شعارا للتطور في جميع الحقول والايمان بالمستقبل ٠



« قطاع الطرق »

بقلم : خالد قطمة

في السادس من تموز فقد الادب العالمي عملاقا من عمالقة حروفه عندما توفي الكاتب الامريكي الشهير « ويليام فولكنر » ، حامل جائزة نوبل للاداب عام ١٩٥٠ .

وقد نعاه الرئيس جون كينذي ببيان رسمي معربا عن الخسارة العظيمة التي لحقت بالادب الامريكي والعالمي بوفاة ويليام فولكنر ، اعظم ادباء امريكا بعد هنري جيمس .

لقد مات ويليام فولكنر فكتبت صحف العالم عنه الكلمات المطولة ، وعقدت الندوات الادبية التي خصصت للبحث في مؤلفاته وتقييم انتاجه ، فأجمعت هذه الصحف والندوات والمجلات على اعتباره واحدا من اعمدة الادب الذي لا يموت في جيل قرائه المعاصرين .

و « الثقافة » اسهاما منها في واجبها الادبي تقدم هذه اللمحة لاخر كتاب ألفه الاديب الامريكي فولكنر ونشرته مطابع « راندوم هاوس » .

في الجزيرة الخيالية التي تصورها شكسبير في كتابه « العاصفة » ، يلاحظ القارىء أن الارواح الشريرة للانسان التي كانت دوما تسيطر على عالم مسرحياته ، قد خمدت بسيطرة السحر الابيض الحنون الذي خلقه « بروسبيرو » .

ولكن في قصة ويليام فولكنر الاخيرة ، وفي جو خيالي مماثل للجو الشكسبيري ، نجد مقاطعة « يوكنا باتاوفا » ، ذلك الجزء الدموي الاسود العديم الرحمة من الميسيسيبي ، وقد حدث فيها التغير والتبديل أيضا .

فالشر لا يزال موجودا في تلك المقاطعة ولكنه لا يستطيع التقدم الى الامام ، فليس هناك من يخطف ، ولا من يعاقب ويجرم ، **ولا من يقتل .**

في « قطاع الطرق » يقدم ويليام فولكنر لنا « بروسبيرو » جديدا ولكنه ناعم ولطيف وقابل للتحسن . وكرجل مسن يثرثر وهو ينحني الى الوراء ، ويمرح في تذكارات عاطفية ، ويفرح كرجل يروي القصص الطويلة ، بشكل لا يماثله غير مارك توين .

ويصور ويليام فولكنر ذلك الشاب العاشق ابن الثلاثين الذي يفضح كل غرامياته ، بين تلك الجماعة التي لا تزال مضغوطة .

تجري حوادث القصة عام ١٩٠٥ ، وتمثل الشخصية الرئيسية سيارة عتيقة كانت من السيارات الاولى التي شاهدها الناس في مقاطعة « يوكنا باتاوفا » . ويملك هذه السيارة « لوسيوس بريست » ، احد احفاد العائلات

الاولى التي سكنت المقاطعة ، ولكن سائقها الفخور هو « بوون هوغانبك » ، ذو الوجـه الصبياني ، القوي ، القاسي ، المؤمن الشجاع ، ولكن غير الموثوق ، ونصف الهندي الذي اشتهر بلقب « الدب » لانه لم يكن قادرا على اصابة اي شيء سواء بالجفت او بالبندقية أو بأي سلاح آخر .

و « بوون » يحن الى السيارة مدفوعا بذلك الشوق البريء في الانسان للآلة .

وبمساعدة حفيد بريسـت « لوسيوس الصغير » « يستعير » بوون السيارة . وفي ثلاثة وعشرين ساعة ونصف الساعة يقطع بوون ولوسيوس الصغير «ببطولة» مسافة ثمانين ميلا من طريق المستنقعات الموحل ، ليصلا الى ممفيس . وبعد اربعة ايام يعودان ان جيفرسون ، حيث يسكنان في مقاطعة « يوكنا باتاوفا » .

وبقصص طريفة شيقة يرويان كيف فقدا السيادة ثم وجداها ، وكيف وجدا حصانا ضائعا وركباه ، وكيف صرفا ليلة بريئة في بانسيون تديره صبية اسمها « ريبا » ، السيدة التي يصادف وجودها متزوجة بعد ٢٥ عاما اثناء انهيار معبد « دريك » في المقاطعة .

ولا يكتفي فولكنر بتركيز قصة حول الاشخاص بل يعمد الى تصوير حقبة الحرب الاهلية التي قامت في الولايات المتحدة بين الشمال والجنوب ليؤكد رأيا سابقا له يقول بأن الماضي غير موجود ، بمعنى انه دائم ومستمر ، كما هو حديثه عن الشوق الوطني الذي يعيش في الحاضر البطولي ، الدائم الموقت .

وفي هذا الحديث أو العرض لا يبدو فولكنر فـي موقف المؤلف المخترع ، وانما يظهر وكأنه يعيد الجمع لقصص وحكايات ما تزال تنمو باستمرار في الجسم القصصي لتلك الاحداث . « وقطاع الطرق » لا تبدو بالنسبة لكل هذا استثناء أو شيئا غريبا ، فمغامرات واعمال بوون عام ١٩٠٥ يرويها لوسيوس الجد لحفيده عـام ١٩٦٢ . وهو في روايته لتلك الاحداث يعطيها بالصور التي يتذكرها حين حدثت وهو في الحادية عشرة مـن عمره . ولكنه بين الفينة والفينة يتحدث عن الاشياء من ضمن معرفة لما حدث في مقاطعته وفي الولايات المتحدة منذ ذلك الوقت حتى اليوم . وبالروح نفسها يتحدث عـن « يوكنا باتاوفا » كما هي الان ، وقـد غرقت بالسيارات ، وعن أوتيل « غايوسو » حيث ينزل دائما ، بينما في عام ١٨٦٤ كان أحد أجداده يدخل الزريبة ليجد أحد جنرالات الشمال .

« لا شيء يمكن ان ينسى ، لا شيء يفقد ابدا ، انها ثمينة جدا . » هذا ما يقوله الجد في حديثه للحفيد .

« ولكن ما عساي افعل » ؟ هذا ما يسأله الحفيد الصغير وقد هزه الفرار ويجيبه الجد « يجب ان تحيا مع هذه الاشياء » .

★ ★ ★

والآن لربما لم يكن قرار قصة فولكنر راغبين بان يعيشوا معها تماما كما أراد هو . ولكن الشذوذ والقصص الذي يزخرف الرواية ليس مجرد تزويق . ان هـذه الامور كلها هي جزء من طريقة للحياة ، من نظرة الى الحياة ، ولنظام من القيم آمن به واعلنه فولكنر طيلة سنوات .

فبالنسبة لفولكنر تأتي البغال في طليعة الحيوانات الذكية ، لان الذكي في نظره ، هو الذي يعرف كيف يوافق نفسه مع محيطه ، ويعرف الذكاء بأنه القدرة على موافقة المحيط مع الاحتفاظ ، على الاقل ، بشيء مـن الحرية الشخصية .

ولذلك فان نقاد فولكنر الباحثين عـن النظرة التشاؤمية الواقعية قد يجدون في « قطاع الطرق » تراجعا الى الهرب الاسطوري . والاهم من هذا ان القراء الذين عرفوا في الجسم القصصي عند فولكنر القوة الفياضـة للخلق القاتم المتشائم سيفتقدون ذلك في « قطاع الطرق » اذ يكاد كتابه هذا يكون قريبا تماما مـن الرومانسية الصافية .

ولكن ما يكتبه القلب يصبح حقيقة . هذا ما قاله مرة ويليام فولكنر . وقد حمل فولكنر في قلبه كل ما في « يوكنا باتافاو » من لطف وفكاهة ورعب لاكثر من جيل . وان اكثر ما يمكن ان توصف به « قطاع الطرق » هو أنها عمل من الحب كتبه قلم كبير .

النشاط الثقافي

الجمهورية العربية السورية

● **تتضمن مجموعة القاص زكريا تامر « ربيع في الرماد » تسع قصص ، وتختلف عن مجموعته الاولى « صهيل الجواد الابيض » بأسلوبها ومضمونها . المجموعة الجديدة تصدر قريبا عن دار الثقافة .**

● في بداية الخريف ستطرز واجهات المكاتب العربية ، بمؤلفات جديدة للشاعر نزار قباني . من هذه المؤلفات ، ملحمة شعرية بعنوان يوميات امرأة لا مبالية . وديوان شعر جديد . وكتاب نثري آخر .. تحكي مقالاته حكاية الشعر في بلادنا .

● **« خميس عذب » آخر أثر أدبي رائع ترجمه الاستاذ جورج طرابيشي لدار الحياة . وقد صدر حديثا بترجمة أمينة . والاستاذ طرابيشي يتابع نشاطه في حقل الترجمة .. ونقل آثار كبار الكتاب العالميين الى اللغة العربية . « خميس عذب » رواية جديدة لجون شتاينبك .**

● « غادة السمان » أميرة الكلمة تنتهي قريبا من طباعة روايتها الاولى وبعد هذا تتوجه صاحبة عيناك قدري الى أوربا لاعداد اطروحتها للدكتوراه .

● **« محمد الماغوط » الشاعر الكبيراستلم الاشراف على الصفحة السادسة من جريدة الايام . نهنىء أنفسنا ونهنىء الصحافة العربية على هذا النصر ، بانضمام الشاعر الخلاق الى أسرة الصحافة السورية .**

● « اللؤلؤ المكنسون » ديوان شعر جديد للشاعر محمد غزيل . وقد صدر حديثا . للشاعر في الاسواق « في ظلال الدعوة » و « الصبح القريب » و « الله والطاغوت » .

● **ما كتب عن شعر الشاعر « بدوي الجبل » قليل حتى الآن . وقد صدرت أخيرا دراسة مؤسفة عن دار ابن زيدون ، تتناول شعر البدوي بالتحليل والنقد .**

● « العالم المسحور » أول مجموعة قصصية جديدة للقاص محمد حيدر تصدر قريبا عن دار الشرق . أول منشورات الدار كان كتاب « معارك الحرية في سوريا » للقاص فارس زرزور . وقد فاز الكتاب بالجائزة الثانية لقيادة الجيش السوري . وكتاب الحرية من أحسن الدراسات الوافية الماتعة . اذ أنه يحكي حكاية الكفاح العربي في سوريا بأسلوب قصصي جذاب » يخلب اللب ويستهوي الافئدة .

● **« أميرة الحسني » قررت ترجمة انتاجها القديم والجديد الى اللغة الفرنسية . في جعبة أميرة ثلاث قصص طويلة منتزعة من صميم الواقع والحياة .**

● بعد أيام تصدر المجموعة القصصية الجديدة « أنا والمدى » للسيدة كوليت خوري . يقول المقربون من كوليت أن هذه المجموعة تختلف كليا عن انتاجها السابق .. انها صوفية جدا .

● **« نجمة الصبح » مجموعة من القصائد النثرية الجديدة للقاص ياسين رفاعية . يقدم هذه المجموعة الشاعر محمد الماغوط .**

● احدى المنظمات الثقافية دعت الاديبة غادة السمان . تحاول غادة أن تحول الدعوة الى لندن وهي تعد الآن بعض المحاضرات لتلقيها في اللغة الانكليزية . ستتحدث فيها عن الشرق وأدبه ونسائه .. وشبابه وروحه .

● **« القمر الشرقي على شاطىء الغرب » للشاعرين فاتح المدرس وشريف الخزندار ، طبع منه ٥٠٠ نسخة وثمن النسخة ١٠ ليرات فقط !**

● « الشرارة الاولى » مجموعة قصصية جديدة لمراد السباعي ، تصدر قريبا . تتضمن هذه المجموعة ١٣ قصة قصيرة ومسرحيتين .

● **قال الدكتور صالح الاشتر : ان الغموض الفني الموحي في كثير من تجارب الشعر الجديد ميزة فنية تزيد أبعاد المضمون سعة وغنى وعمقا . أما الغموض الاعمى الفقير فهو آفة من الآفات الدخيلة وعلى الشعر الجديد أن يجهد للتخلص منها .**

● « أساطير ملهمة » كتاب جديد للدكتور زكي المحاسني مدير التراث القديم ودائرة المعارف بوزارة الثقافة والارشاد القومي . يصدر قريبا عن احدى دور النشر في بيروت .

● **صدرت في منشورات عويدات ببيروت مجموعة شعرية جديدة للشاعر سهيل أيوب بعنوان « جدار الطيب » .**

● تصدر قريبا بدمشق مجموعة شعرية متحررة من الوزن والقافية لالياس فاضل . وقد أعد الشاعر للطبع مجموعتين جديدتين « قصائد يتيمة » و « قناديل في العاصفة » وستصدر تباعا .

● **في منشورات دار الرائد الحلبية صدر حديثا « نداء الام » وهو مجموعة شعرية للشاعر توفيق اليازجي .**

● « عرائس الشعر » مجموعة من روائع الشعر في الشرق والغرب ، ترجمة الاستاذ سعد صائب صدر حديثا . كما صدر للاستاذ سعد دراسة أدبية لشعر الدكتور عمر النص صاحب « كانت لنا أيام » و « الليل في الدروب » بعنوان « شاعر معاصر » .

● **« القصة في سورية » عملا أدبيا ضخما ، وواحدا من الآثار الفكرية والفنية الرائعة التي كتبها رسول النثر الحديث والعبارة الحلوة الرشيقة الاستاذ شاكر مصطفى . سيتبعه كتاب جديد عن « الشعر في سورية » خلال مائة سنة .**

● وزارة الثقافة والارشاد القومي ستقدم مسرحية عن أبي فراس الحمداني في مهرجان الشعر بحلب .

● **في الحفل التأبيني الكبير الذي أقامته مدينة النواعير لفقيدها الخالد فقيد الادب والشعر .. شاعر العاصي المرحوم الاستاذ بدر الدين الحامد ألقى المربي الفاضل الاستاذ هاشم صيادي مدير ثانوية ابن راشد كلمة رائعة تحدث فيها عن حياة الشاعر .. وعن شعره العذب الجميل .**

لبنان

● قامت لجنة مهرجانات بعلبك بدعوة الروائية الفرنسية البارزة « سولانج فاسكيل » لتقضي في الربوع اللبنانية عشرين يوما .. تتصل خلالها بأوساط الادب والشعر والصحافة . قالت سولانج فاسكيل لاحد أصدقائها : ان بلدا ينتج مثل جورج شحادة وجورج نقاش لا بد أن يكون بلدا معجزة .

● **« ميخائيل نعيمة » يواظب على حضور اجتماعات لجنة المتن الشمالي الثقافية التي تضم « جورج شحادة وجميل جبر والاخطل الصغير وفرج الله الحايك ويوسف عضوب وتوفيق يوسف عواد ورئيف خوري وخليل حاوي وميخائيل صوايا وعبد الله حشيمة وجوزف باسيلا » .**

● قال يوسف عضوب : « ان الادب اللبناني يجب أن يتناول مواضيع مفرحة .. لان الطبيعة عندنا مشرقة ، ولان مشكلاتنا أبعد ما تكون عن مشكلات البؤس التي يعانيها الغرب » .

● **« نفوس جائعة » رواية جديدة للدكتور جميل جبر .. يتحدث عن مأساة الفاشلين في الحياة ، الخابطين فيها خبط عشواء تبريرا لوجودهم .**

● ينصح المحبون السيدة « عائدة لبكي » بنشر أوراق الشاعر الراحل صلاح لبكي .. السيدة عائدة في حيرة تامة تفكر بأمر هذه النصيحة .

● **« في الشعر والفن والجمال » كتاب جديد لرضوان شهال صدر في سلسلة « أضواء على الادب العربي » .**

● الشاعر شفيق المعلوف صاحب عبقر .. أحيا أمسية شعرية في زحلة .. بدعوة من نادي النهضة الزحلية .

● **جمعية أصدقاء الكتاب تعد منذ الآن لاسبوع الكتاب العربي وهي تبحث في الكتب المؤلفة والمترجمة أو المنشورة في لبنان . الجوائز متعددة وأكثر من كل عام .**

● وخلال الشهرين القادمين ، تصدر مجموعة شعرية لعاصم الجندي بعنوان « أشعار كاسدة » .

● **« أبعاد المعري » العقل .. الخير .. العدل ، في ذات الله . دراسة شعرية من تأليف ثريا ملحس . تتناول بطريقة فنية طريقة فلسفة أعمى المعرة وابداعه الشعري . صدر حديثا .**

● ديوان « بدر شاكر السياب « الجديد بعنوان « المعبد الفريق » تسيطر على الديوان روح الموت واليأس .

● **« على نهر الدرينا » الرواية التي نالت جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٦٢ . صدرت حديثا عن دار مكتبة الحياة . الرواية من تأليف ايفو اندريش .**

● يصدر عن دار الطليعة قريبا رائعة الاديب الايطالي اتيانيوسبلوتي .. « فونتا مارا » . قام بترجمة الرائعة الادبية عيسى الناعوري .

● **تصدر قريبا في منشورات عويدات تحفة الكاتب الفرنسي بلزاك « الاب غوريو » وهي من ترجمة نبيه صقر .**

● ميشيل عاصي يعد كتابا جديدا ، يبحث فيه الاصول الجمالية وفنون الادب . الكتاب بعنوان « جديد في الفن والادب » .

● **« انطون قازان » سيخرج عما قريب كتابا**

جديدا يتولى تقديمه الى القراء « الشاعر سعيد عقل » يضم الكتاب بعض الدراسات الادبية .

● يصدر قريبا في منشورات عويدات ببيروت كتاب « من ذكرياتي » لعبد العزيز القصاب رئيس المجلس النيابي العراقي سابقا . يعرض فيه تاريخ العراق السياسي من العهد العثماني الى عهد الاستقلال .

● **صدر حديثا عن منشورات عويدات ببيروت ، وباذن من الناشر الاصيل ارمان كولان بباريس .. كتاب « تيارات الفكر الفلسفي » من تأليف أندريه كريسون ، وترجمة نهاد رضا .**

● « كاتب ياسين » الكاتب والشاعر الجزائري.. يزور بويرت قريبا للاشراف على ترجمة بعض آثاره في اللغة الفرنسية الى اللغة العربية .

● **« بؤس وصفياء » مجموعة شعرية للدكتور محمد عزيز الحبابي .. صدرت حديثا عن دار عويدات ببيروت مع مقدمة لسمو الاميرة عائشة .**

● عن المكتب التجاري ببيروت سيصدر عما قريب قصة طويلة للاديبة خالدة عبد الله بعنوان « لحن وحب ».

● **وأول مجموعة قصصية لوليم فولكنر مترجمة الى العربية ، تصدرها دار الآداب ببيروت باشراف الدكتور سهيل ادريس .**

● أعلنت جريدة النهار البيروتية عن مسابقة للقصة القصيرة . يستطيع الاشتراك فيها كل كاتب عربي ومن أي بلد عربي قيمة الجائزة خمسمائة ليرة غير قابلة للقسمة .

الجمهورية العربية المتحدة

● **« منزل القلوب الكسيرة » آخر مسرحية ترجمت لبرناردشو قام بالترجمة الاستاذ محمود سامي أحمد ، وراجعها شكري عياد المسرحية من منشورات وزارة الثقافة .**

● حياة الموسيقار الفرنسي « برليوز » في ١٩ مشهدا . تمثيلية طويلة قام بترجمتها عضو مجلس ادارة مؤسسة دعم المسرح بالقاهرة الاستاذ أحمد سعد الدين .

● **« أحاديث جدتي » للدكتورة سهير القلماوي . و « الى ابنتي » للدكتورة نعمات أحمد فؤاد .. ترجما الى اللغة الانكليزية . قام بالترجمة المستشرق « بادير ».**

● الدكتور طه حسين استقال من عمله كاستاذ متفرغ في كلية الآدب . وهو يقوم الان باعادة النظر في جميع مؤلفاته لاعادة طباعتها .

● **من منشورات دار الناشر العربي في القاهرة كتاب « الخطر » وهو راية مصرية طويلة في ٢٣٢ صفحة من الحجم الكبير . الرواية من تأليه فتحي الرملي .**

● « الكواسي » و « الدرس » و « الساكن الجديد » مسرحيات قصيرة ليوجين اونيسكو . ترجمها عبد القادر التلمساني . تصدر قريبا .

● **« هم وهن » مجموعة أقاصيص من تأيف نقولا يوسف صدرت المجموعة في منشورات دار نشر الثقافة بالاسكندرية في ٢١٠ صفحات .**

● صدرت في القاهرة : « دموع ونيران » مجموعة شعرية لعبد الرحمن الخميسي . « جسر الشيطان » رواية لعبد الحميد جودة السحار . « سلامبو » لجوستاف فلوبير . ترجمة بولس غانم ومراجعة الدكتور ريمون فرنسيس . « الطاعون » لالبير كامو ترجمة كوثر عبد السلام ، مراجعة محمد القصاص . « العسكري الاسود » مجموعة قصص ليوسف ادريس « النيل في الادب المصري » للدكتورة نعمات احمد فؤاد . « العيب » ليوسف ادريس . « جنة على الحدود » لمحمد عبد الحليم عبد الله . « الاشتراكية العربية » لاحمد بهاء الدين .

● **« الشرق والغرب » كتاب جديد لرادا كرشنا رئيس جمهورية الهند يصدر قريبا في القاهرة . قام بترجمة الكتاب الدكتور عبد الحميد يونس .**

● « في الادب العربي المعاصر » مجموعة مقالات نقدية للدكتور عبد القادر القط . المقالات نشرت تباعا في مجلة الشهر . تصدر قريبا .

« شكر طبيب »

ـ خليل رفعت محافظ حلب السابق يتوجه بالشكر العميق للدكتور (كونتي) على العملية الجراحية الناجحة (بروستات) التي اجراها له ، كما يشكر جميع المشرفين على المستشفى الايطالي بدمشق لما أبدوه طوال مدة اقامته من خدمة انسانية وتفان في العمل كما يشكر بالمناسبة جميع من عاده معتبرا هذا الشكر ردا لهم على زياراتهم .

اعتذار

ادارة مجلة الثقافة تعتذر عن الاخطاء التي وقعت في ترتيب قصة الاستاذ عدنان الداعوق « عينان من خرز » المنشورة في العدد الماضي من المجلة .. وستحاول نشرها في عدد قادم .